مجلة الجامعة الإسلاميَّة
للغة العربيَّة وآدابها

مجلة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكمة

العدد : 15
يناير - مارس 2025م

الجزء 2

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقا

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديدا؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلا من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلمي الأصيل، ومنهجيته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربية والإنجليزية.
- كلمات مفتاحية لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربية والإنجليزية.
- مقدمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمن النتائج والتوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقيا) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نشر بحثه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيا أو إلكترونيا، ويحق لها إدراجه في قواعد البيانات المحلية والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة – في أي وعاء من أوعية النشر – إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**منهج التحليل الإعرابي عند الأصبهاني في كتابه إعراب القرآن** د. عبد اللطيف جعفر عبد اللطيف الريح	٩
٢)	**الحمل على النظير بين بابي الجزم والجر وأثره في الحكم النحوي -دراسة أصولية نحوية** د. أريج بنت عثمان بن إبراهيم المرشد	٦١
٣)	**من بلاغة الإنشاء والخبر في الجواب النبوي على مسألة الأعراب** د. أسماء بنت أحمد بن مسفر الوادعي	١١٣
٤)	**خطاب التجديد في الفكر البلاغي عند الشيخ محمد أبي موسى -ملامحه وتجلياته** د. يوسف طفيف مبارك الدعدي	١٥٣
٥)	**المثل في شعر هدبة بن الخشرم دراسة دلالية تركيبية تناصية** د. نوال عبدالله إبراهيم يوسف الزهراني	٢٠٣
٦)	**مفهوم الشعر ووظيفته عند ابن المعتز من خلال كتابه طبقات الشعراء** آمال بنت يوسف المغامسي	٢٤٥

م	البحث	الصفحة
٧)	**البناء التقابلي في تشبيه الوحي بالمطر في الخطاب القرآني** د. لطيفة بنت سعود العصيمي	٢٩٩
٨)	**حيلة المرأة في الحكاية الشعبية السعودية (كتاب أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب أنموذجا) مقاربة في النقد الثقافي** د منال بنت سالم القثامي	٣٥١
٩)	**المقصدية في ديوان أكاد أراني) لشقراء المدخلي دراسة تداولية** د. عائشة صالح الشمري	٣٩٧
١٠)	**دلالات المكان في شعر ياسر الأطرش -دراسة نقدية** د. حصة فهد السبيعي	٤٣٩
١١)	**آليات الخطاب النقدي في كتاب اتجاهات الشعر العربي المعاصر الإحسان عباس- دراسة في نقد النقد** د. عبدالعزيز بن عياد المطيري	٤٨٣
١٢)	**التحليل الأنثروبولوجي عند الناقد ياروسلاف ستيتكيفيتش** د. ماجد بن أحمد الزهراني	٥٢٥

"خطاب التجديد في الفكر البلاغي عند الشيخ محمد أبي موسى ملامحه وتجلياته

The Discourse of Renewal in the Rhetorical Thought of Sheikh Muhammad Abu Musa Its Features and Manifestations

د. يوسف طفيف مبارك الدعدي

أستاذ البلاغة والنقد المشارك كلية العلوم والآداب بالمندق بجامعة الباحة

البريد الإلكتروني: d777di@hotmail.com

DOI:10.36046/2356-000-015-016

الملخص:

تسعى الدراسة إلى إثبات نمو الفكر البلاغي وتطوره من خلال رصد اجتهادات الشيخ الدكتور محمد أبو موسى في حقل البلاغة العربية، وتقريب أفكاره، وإثبات عدم جمود حركة الفكر البلاغي وتمدد فروعه، وقدرته على المواكبة والبناء المعرفي المتداخل في جملة العلوم الإنسانية الرفيعة والإفادة منها، كالتفسير، والإعجاز، وجملة العلوم القرآنية.

فتهدف الدراسة إلى الإجابة عن بعض الأسئلة المعرفية: هل استطاع الشيخ محمد أبو موسى أن ينتقل بخطاب التجديد في الفكر البلاغي من واقع المسائل العلمية الدقيقة إلى أفق البناء المعرفي والنسق العام؟ كيف أدار مسائل التراث البلاغي في كتابي عبد القاهر الجرجاني (الأسرار والدلائل) وأعمل فيه عقله وأسكن فيه روحه ليمتد بحبله من جيل إلى جيل؟ ما الأدوات المعرفية والآليات التحليلية التي طورها وانتقل بها من حقل معرفي إلى حقل آخر؟

هل مواكبة الركب الحضاري المعرفي تستدعي الانصراف عن التراث إلى والأخذ بترجمة نظريات الآخر وتعريبها وغرسها في مفاصل أدبنا وتراثنا؟

الكلمات المفتاحية: تجديد، خطاب، الفكر، البلاغي، محمد أبو موسى.

Abstract

The study seeks to demonstrate the growth and development of rhetorical thought by examining the contributions of Sheikh Dr. Muhammad Abu Musa in the field of Arabic rhetoric. It aims to elucidate his ideas, highlight the dynamic nature of rhetorical studies, and refute the notion of its stagnation by showcasing the expansion of its branches. Additionally, the study emphasizes rhetoric's ability to adapt, evolve, and integrate with other high-level human sciences, such as Quranic exegesis (*tafsir*), miraculous inimitability (*i'jaz*), and various Quranic studies.

The study aims to address several key intellectual questions:

- Did Sheikh Muhammad Abu Musa succeed in elevating the discourse of rhetorical renewal from the realm of precise scholarly issues to the broader horizon of epistemological construction?
- How did he engage with the rhetorical heritage in Abdul-Qahir Al-Jurjani's two seminal works, *Asrar al-Balaghah* and *Dalail al-I'jaz*? How did he infuse them with his intellect and spirit, ensuring their continuity across generations?
- What cognitive tools and analytical mechanisms did he develop, allowing him to transition from one field of knowledge to another?
- Does keeping pace with modern intellectual and civilizational progress require abandoning our rhetorical heritage in favor of translating, adapting, and embedding foreign theories into the fabric of our literature and tradition? Or can renewal emerge from within our own legacy while engaging with global thought?

Keywords: (renewal, discourse, thought, rhetoric, Muhammad Abu Musa).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبدئ والمعيد، الفعال لما يريد، جعل لنا في التدبر عبادة ومن التفكر شرعة وزيادة، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فقد مرت البلاغة العربية منذ نشأتها بمراحل مختلفة في النماء والتطور والتكوين والامتداد، فأخذت تتشكل وتتصاعد في نمائها طورا بعد طور، كالنواة المخصبة في جوف الكلمات الدالة والإشارات اللطيفة والتنبيهات الدفينة المكتنزة بالدلالة، فأخذت تتشكل وتنمو وتزدهر بدءا من الملحوظات العابرة في تقويم الشعر، والأوصاف الكامنة على ألسنة الشعراء، فتنوعت مراحلها ما بين مد وجزر، وحركة ازدهار وتمدد واستفاضة، ثم تلا ذلك تلخيص وترتيب وتبويب.

فكانت بدايتها إشارات مكتنزة بالدلالات الحاملة لأوصاف الشعر وحسن الدلالة على المعنى جاءت على ألسنة الشعراء، كنظم الخرز والنسج ...كما في قول أبي تمام:

نظمت لـه خـرز المـديح مكـارم ينفثن في عقد اللسـان المقحـم

وقول الآخر:

ولو كنت نساجا سددت خصاصها بقول كطعم الشهد بالبارد العذب

وهي إشارات يلفها شيء من الغموض، ويفهمها الخاصة من العلماء ومن هم في طبقتهم، وكان الجاحظ فارس هذه المرحلة.

ثم توسعت حركة العلم والمعرفة وازدهرت فكانت كشفا لتلك اللغة الخاصة والغامضة وبيانا للأسرار المكتنزة فيها والقدرة على النفاذ في بواطن الكلام واستجلاء عروق النبع وموارد المعرفة، وكان عبد القاهر الجرجاني فارس هذه المرحلة.

ثم تلا ذلك مرحلة تبويب فروع العلم وتنظيمه وتلخيصه، وهي مرحلة جني

الثمار التي فاضت بها البلاغة عبر تلك المراحل السابقة، وكان فارس هذه المرحلة أبو يعقوب السكاكي.

وظلت البلاغة بعد ذلك تسير بخطى وئيدة، ماثلة في الشروح والتلخيصات والتعليقات على بعض أبيات الشعر، ومتون أقوال العلماء السابقين المودعة في كتب البلاغة، والتعليق عليها بوصفها منتهى هذا العلم وما استقرت عليه، تسد في جانب من واقع المعرفة وحسن الكلام، وتقصر عن جانب آخر مسكوت عنه، أو طريق غير مطروق كلت عنه عزائم المجتهدين أو نأت عنه، غفلة أو تكاسلا وفتورا، حتى غدت البلاغة علما غير مغر لأبناء الجيل المعاصر في تلقيه أو العكوف عليه، ناشطين ونافرين إلى منجزات الآخر في تحليل النصوص وقراءاته، لاسيما بعدما أثقل بالأعراض الجانبية التي أقحمت في جسد هذا العلم من فلسفة وعلم منطق وحيثيات المعرفة، كالحديث عن اللذة والألم وما شابه ذلك...، يقول المغربي في "مواهب الفتاح"،بعد أن تحدث عن هذه الأعراض: "وقد أطنبت فيما يتعلق بهذه الكيفيات، على حسب ما فسرها الشارح، مما هو من تدقيقات الحكماء، بعد تفسير بعضها بما هو أقرب إلى الفهم؛ قصد الإيضاح وزيادة في الفائدة، وإن كان تفسيره – كما قيل – لا يناسب هذا الفن، ولا يسهل على المتعلم، بل يزيده حيرة"(١).

ومن هذا القبيل أيضا، قول العلامة العصام في "الأطول" بعد أن تكلم عن الحواس والكيفيات والحركات: "واعلم أنه لم يف المصنف بما وعد في ديباجة الكتاب؛ من حذف الحشو، والتطويل والتعقيد، وسها عنه في هذا المقام؛ لأن هذه التقسيمات مما لا نفع له في هذا الفن، بل يوجب تحير الأفهام، وإيقاع المبتدئين في الظلام"(٢).

(١) أبو العباس أحمد المغربي، "مواهب الفتاح – شروح التلخيص". تحقيق: خليل إبراهيم، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ١: ٨٠١.

(٢) إبراهيم عصام الدين الحنفي الإسفراييني، "الأطول–شرح تلخيص المفتاح". تحقيق: عبد الحميد

فكل هذا، كما ترى، مما يثقل نشطة النفس في التضلع من هذا العلم لدى الناشئة، وجعل أفئدة الشباب تهوي إلى الغرب، مستمدين من نظرياتهم سبل التلقي والتذوق والتنظير، فتفشت روافد المناهج الأعجمية المترجمة إلى لغة العرب، متلبسة بلبوس المعاصرة والتجديد والإبداع، وسادت ملامح قراءات التلفيق الممنهجة في تحليل النصوص وتذوقها، وظلت البلاغة العربية على المحك، وصار منهج شيخ البلاغيين العرب ورائد منهج التذوق والتحليل الإمام عبد القاهر الجرجاني مهجورا في طلل "الدلائل والأسرار" يغنى به في محفل المآثر بالشروح والتعليقات، متواريا عن منهج التطبيق بعد كشاف الزمخشري، سوى بعض المحاولات اليتيمة التي قصرت على بعض المجتهدين(١).

حتى لاح في أفق البلاغة المعاصرة عالم جليل، ومفكر بصير حمل هم أمته وأضجه واقعهم المرير، فعكف على تراث العربية، وخص منها علم البلاغة، فنهل من تراث هذا العلم و تشبع عقله وروحه بعقول وأرواح صفوة وكبار حملة هذا العلم، كعبد القاهر الجرجاني، من خلال كتابيه (أسرار البلاغة دلائل الإعجاز)، مستقصيا لما فيهما من مسائل وفصول وأبواب وأنماط التحليل التي تجلت فيهما، ممتدا إلى مقام الزمخشري في تفسيره الكشاف، فسلك مسالك القوم في التحري والتذوق والاستنباط، ونهج منهجهم في تلقي المعرفة بعزائم المجتهدين، فكان خير وريث لهذا المنهج البلاغي العريق، الذي يعكف على تحليل النصوص، ويبين عن طرائق بيانها واكتساب مهارة حسن التأتي إلى معاقد المعاني ومراتبها في إنشاء الكلام، و الذي من شأنه أن يورث حصافة ورقيا

هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١٥٢:٢.

(١) منهج الأستاذ محمود شاكر في قراءة لامية ابن أخت تأبط شرا:

إن بالشعب الذين دون سلع * لقتيلا دمه ما يطل**

في كتاب "نمط صعب ونمط مخيف". (جدة، طبعة دار المدني، ١٤٠٧هـ).

في الذوق، ومهارة التمييز بين مباني الجمل والأساليب.

وغدا الشيخ الدكتور محمد أبو موسى عالما مجتهدا في الدرس البلاغي، تجلت عطاءاته وإلهاماته في كل فصل من فصول هذا العلم، وكان داعيا من دعاة التجديد الأصيل فيه، القائم على إظهار الأصول العلمية في فنون هذا العلم وما يتلاءم مع روح العصر، وعدم الانصراف عن المنابع الأصيلة إلى الموارد الدخيلة؛ لأن ذلك من شأنه تغييب علوم الأمة عن ساحات العقل والفكر والإنماء، وإهمالها في أضابير التراث. وهذا عقوق للعلم وللعلماء ولتاريخ الأمة الحافل، وتخدير لعقول الناشئة واستسلام للهيمنة الفكرية العالمية.

والتجديد فريضة من فرائض العلم، في كل فرع من فروع المعرفة، وأمر لازب حتم على سنن هذه الحياة وجبلتها، فالحياة تمضي قدما ولم تتوقف يوما عن ناموسها الكوني.

ونفي الجمود عن حركة عجلة العلم من أوجب ما يكرس به العالم الصادق المخلص لأمته نفسه وهمته، وبه يشتغل أولوا العزم من العلماء؛ لأن به حياة أقوامهم وعزهم ومنعتهم ورفعتهم عن دنايا الانحطاط في الجهل وبراثن التخلف، وبه تتناغم حركة الكون وتتواكب معالم الحياة.

وطلب الإتيان بالجديد المحض في البناء الفكري والمعرفي وما يدور في فلك العلوم الإنسانية أمر ليس سهلا منقادا، بل صعب المنال؛ لأنه هاجس تهجس به كل النفوس الحية المشتغلة بالعلم من جهة، ولما لطبيعة العلوم الإنسانية من ترابط وتقارب وتشابه وتآخ فيما بينها من جهة أخرى؛ فما يدور في حقل اللغة والبيان وما يبرق فيها من لمع وأفكار، حتما سنجد شيئا منها أو بعض شيء دار أو لمع في حقل التفسير أو باب الاستنباط الفقهي أو في العقائد وفروع الجدل والكلامي وما شابه ذلك..، فلذلك كان الاحتراز في العنوان بـ "**خطاب التجديد**" وليس تجديد المعرفة، لأنك ربما تجد بعضا من الأصول أو الأفكار قد مرت بك في حقل من الحقول المعرفية عند علمائنا الأوائل،

ولم يلق لها بالا، أو كانت شذرة تائهة أو بذرة متجذرة في جوف المعرفة استطاع الشيخ محمد أبو موسى أن يسقيها بماء فكره فنمت وظهرت على سطح صفحات كتبه، واصطبغت بعقله وملابسات أفكاره في الدرس البلاغي وحقل البيان وتحليله.

مشكلة البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن بعض الأسئلة المعرفية في هذا الحقل، كمعرفة مدى تحقيق الشيخ أبو موسى الانتقال بخطاب التجديد من واقع المسائل العلمية الدقيقة إلى أفق البناء المعرفي؟ وكيف أدار مسائل التراث البلاغي وأعمل فيها عقله وأسكن فيه روحه ليمتد بحبلها الأصيل من جيل إلى جيل؟ ما الأدوات المعرفية والآليات التحليلية التي طورها وانتقل بها من حقل معرفي إلى حقل آخر؟ معرفة ما إذا مواكبة الركب الحضاري المعرفي تستدعي الانصراف عن التراث أو إهماله والأخذ بترجمة نظريات الآخر وتعريبها وغرسها في مفاصل أدبنا وتراثنا؟

المنهج البحثي: تقوم الدراسة على منهج الاستقراء والتحليل والاستنباط.

الدراسات السابقة:

سعت كثير من الدراسات الحديثة إلى الاهتمام بجهود الشيخ الدكتور محمد أبو موسى ورصدها في ميدان البلاغة والإعجاز، وحاولت الكشف عن منجزه بوصفه ناقدا وصاحب رؤية ومنهج في تحليل النص الشعري القديم، بل بلغ عدد الدراسات التي جمعت في مجلد واحد، ودارت حول جهوده ومنهجه البلاغي والنقدي ما يربو عن العشرين بحثا علميا محكما[1]، وغيرها العديد من الدراسات والإجازات العلمية التي منحت في الجامعات السعودية وغيرها، وتتناول جهود الدكتور محمد أبو موسى بالتقصي والبحث والدراسة. ومعظم تلك الدراسات كان لها أهمية وإثراء في الدرس البلاغي ونحت

(١) "شيخ البلاغيين محمد أبو موسى، بحوث مهداة إلى فضيلته بمناسبة تجاوزه الثمانين". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٩م).

مناحي عدة، غلب عليها الكشف والتحصيل عن مضمون المنهج وأسس التفكير المعرفي عند الشيخ أبو موسى وبيان منهجه التحليلي.

وسأعرض لأهم الدراسات والأبحاث التي حاولت الكشف عن الآراء الجديدة عند الشيخ أبي موسى التي شكلت الرؤية البلاغية وحاولت لملمة جهوده واجتهاداته في هذا الميدان، وهي كالتالي:

١- ولعل أقربها إلى طبيعة هذا البحث، كتاب الأستاذ الدكتور محمود توفيق سعد "الكلمة نور"، محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم "الصادر عن مكتبة وهبة عام ١٤٣٧هـ/٢٠١٧م. الذي حاول فيه د. محمود أن يخترق أفق التلقي لمسائل وأدوات علم البلاغة إلى مساءلة المنهج ومحاورة الأفكار لدى الشيخ الدكتور محمد أبو موسى وتجاوز مفهوم التلقي الاستيعابي والتحليلي إلى ما وراء المعرفة التحصيلية، والكشف عن معالم المنهج البنائي للمعرفة، وتسليط الضوء عن ضوابط المنهج القرائي في بيان النبوة، وأبان عن معالمها بإقامة أركانها الأربع الماثلة في: الاستقراء لجزيئات المعرفة، وتصنيفها، وتحليلها ثم استنباطه للحقيقة الكلية. وأبان فيه عن الأدوات الفطرية عند الشيخ والتي قوامها الذوق، والأدوات الكسبية التي عمادها الثقافة والأدوات.

٢- بحث الأستاذ الدكتور إبراهيم الهدهد، رئيس جامعة الأزهر سابقا: "أثر الشيخ محمد أبي موسى في البحث البلاغي" الذي تناول فيه بالتقصي والبرهان بيان فضل جهود الدكتور محمد أبو موسى في البحث البلاغي على الدراسات والإجازات العلمية في الجامعات العربية (مصر – السعودية) على وجه الخصوص، وقد أثبت فيها أثر الشيخ المباشر في ابتكارات عناوين البحوث والرسائل العلمية في درجتي الماجستير والدكتوراه حيث بلغت العينة المختارة مائة وخمسا وأربعين رسالة علمية، كما كان للشيخ أثره البالغ في العودة بتلك الدراسات نحو التطبيق البلاغي على

النصوص الشريفة وسبر أغوارها والكشف عن أسرارها.

٣- ومن الدراسات الراصدة لجهود الشيخ بحث: "معالم التجديد البلاغي والنقدي في مقدمات الدكتور محمد أبو موسى"(١) للأستاذ الدكتور أحمد السديس، أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،التي سعى فيها إلى تحصيل أهم الأفكار والمضامين التي اشتملت عليها مقدمات كتب الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى، وقد اجتهد فيها بعرضه لأهم تلك الأفكار البلاغية والنقدية وقضية الإعجاز التي وردت في مقدمات كتب الشيخ الدكتور محمد أبي موسى، وبوب لها تبويبا علميا متدرجا فيه بعلاقة البلاغة بعلوم الشريعة، متعرضا لمصادرها الرئيسية التي شكلت معالمها وأبوابها وفصولها البحثية، فتحدث عن أهم تلك القضايا وهي قضية إعجاز القرآن وما تفرع عنها من الدراسات البلاغية القرآنية، ورصد قضايا الدراسات البلاغية وما تفرع عنها من ملابسات كالمجاز، وموضوعات التطبيقات البلاغية وأهميتها في الدرس البلاغي والتي تكشف عن أسرار الشعر المخبوءة تحت اللسان، ثم تحدث عن قضايا النقد في مقدمات كتب الدكتور أبو موسى، فتحدث عن تحليل النصوص وجهود الشيخ في هذا الميدان بوصفه ناقدا أدبيا متوازيا مع غيره من النقاد الكبار في العصر الحديث . وتحدث عن بعض آرائه النقدية كاستخراج أصول النقد من الشعر نفسه، وهي دراسة طويلة نسبيا بوصفها بحثا في معالم التجديد البلاغي والنقدي، غير أنها نحت منحى الدراسة الوصفية التحصيلية لمجمل الأقوال والآراء التي تحدث عنها الشيخ الدكتور محمد أبو موسى،

(١) وقد صدر البحث بنسخة مستقلة في كتاب مستقل بعنوان: "فرائد نفيسة من مقدمات الدكتور محمد أبو موسى" في عام ١٤٣٩هـ. وهو نفس العام الذي صدرت فيه مجموعة الأبحاث المهداة إلى الشيخ محمد أبو موسى، ويلاحظ من العنوان أن فكرة البحث: "التجديد البلاغي والنقدي"، قد غابت عن عنوان الكتاب وصار أقرب إلى طبيعة الدراسة.

وقصرت الدراسة على الجهود والآراء التي جاءت في مقدمات كتبه فقط.

وهذا البحث، الذي أقدمه، يستكمل تلك الجهود المبذولة التي تروم الكشف عن خطاب التجديد في الفكر البلاغي عند الدكتور محمد أبو موسى، فلا تقف عند حدود التحصيل المعرفي لجهود الشيخ الدكتور محمد أبو موسى، أو تقتصر على ما في المقدمات من إشارات وتنبيهات على أهميتها وجليل قدرها، وإنما تجتهد وتهدف إلى الكشف والتأصيل لخطاب التجديد في الفكر البلاغي، واستنباط ما بين سطور الكتب، وما وراء المسائل ومعالم المنهج البلاغي عند الشيخ أبو موسى، وتستكمل جهود الدراسين والباحثين وفي هذا البحر الزاخر وتحاول أن تسد ثغرة مهمة في الدرس البلاغي الحديث.

مدخل إلى الخطاب الفكري لقضايا التجديد البلاغي عند الدكتور أبو موسى:

كل دعوة للإصلاح لابد لها من تهيئة وتمهيد للأنفس والعقول التي ستحمل عبء وكلفة الدعوة، ونهج هذا الطريق وما سيتبعه من البذل والاجتهاد ومشقة الانقطاع والمثابرة. وطريق الإصلاح العلمي من أشق ما يجتهد فيه المرء؛ لأنه طريق محفوف بمجابهة العقول واختلاف الأمزجة والأنفس وتنوع التيارات الفكرية والثقافية وتصارعها، فليس استصلاحا في أرض خراب أو مشروعا صناعيا يطوع بمجرد اكتساب التقنية وآلياتها الحديثة، أو استثمارا تستشرفه الأنفس وتهفو إليه، بل تجده مجابها بالصدود والنكران، أو ضعف الوازع في الاتباع وخور العزائم في خوض التجربة، واستلذاذ السائد من الاتجاهات الفكرية؛ لذا كان الشيخ أبو موسى صاحب منطق فكري متسق مع اجتهاداته في مسالك العلم والمعرفة.

والدعوة إلى التجديد ونبذ التقليد والتبعية هاجس تهجس به كل النفوس الحية، فضلا عن العلماء الذين حملوا هموم أمتهم والسعي بها نحو الأفق الأرحب ومزاحمة الأمم بالأقدام والمناكب، وليس من قبيل المبالغة القول أن الدكتور محمد أبو موسى شغل بهذا الهم منذ أن حمل القلم وألف أول كتاب[1]، فهو عالم قلبه معلق بهم تجديد علوم الأمة وتراثها في شتى المجالات المعرفية، وليس في الحقل البلاغي وحسب، لأنك تلاحظ هذا التوق الدائم يملأ صفحات كتبه بالحث والدعوة إلى المثابرة، فهو لايزال يحدث نفسه بهذا الهم، ويحثها على المكابدة ونبذ التردد والخوف من الوقوع في الخطأ أو القصور، وترى ذلك من خلال ما يبثه من روح الحماس وإيقاد مشاعر الأنفة والانتماء في صدور

(١) انظر مثلا، إلى أول كتبه ظهورا "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري" وهي رسالته في الدكتوراه، وما حملته المقدمة من قضايا وموضوعات دعا فيها إلى تجديد النظر ونقله من طور إلى طور كقضايا علوم القرآن ونقلها إلى حقول الشعر، وموضوع النسخ ونقله إلى الدراسات الأدبية. ص٨-٩.

طلاب العلم في كل معقل من معاقل العلم والمعرفة، سواء في محفل الدرس في قاعات الجامعة وأروقة الجوامع، أو حين ملاقاة طلابه فرادى أو مستفسرين، فتجد همه وهمته تحريك الخواطر وتثوير الفكر وبث روح الحماس في عقول الباحثين بالاجتهاد والإخلاص في طلب العلم وبناء المعرفة، وبذل قصارى الجهد في ذلك، وترك الاعتماد على عقول الآخرين أو الركون إلى النظريات المترجمة والمنقولة إلى ثقافتنا، وتشجيعهم بعدم التردد من الوقوع في الخطأ أو اللوم أو طلب رضا المتلقي، فالإحساس بالمسؤولية المعرفية من البحث والتحصيل والريادة، هو الذي يضع القدم في مضمار الريادة الأممية والموقع الحضاري للأمة. يقول: "أشير إلى أمر مهم وهو أننا نتفق غالبا في فهم المسألة ونختلف فيما تبعثه المسألة في نفوسنا من أفكار، وصور وخواطر، وهذا الاختلاف راجع إلى أحوال نفوسنا، فهناك من تجد عندهم ميلا إلى المغامرات الذهنية، وهناك من تجدهم يتحرجون من هذا، أو يتحركون بخطوات وئيدة لا تحلق خيالاتهم في باب العلم إلا بجناح مقصوص، والمغامرات الذهنية في باب العلوم لا تختلف عن الآفاق الخيالية الرحبة في باب الفنون من حيث هو مجال للوثب الذهني، والحركة العقلية الطموحة"(١).

ويظهر هذا جليا في مقدمات كتبه التي سلك فيها مسلكا مختلفا نسبيا عن طرائق العلماء، وهو مسلك يتكرر في كل كتبه تقريبا، ويتجدد موقفه مع تجديد كل طبعة ولا يكتفي بمقدمته الأساسية للكتاب. فتجد في مقدماته سردا للحالة الفكرية ممزوجا بإلماحة لواقع الأمة في شتى قضاياها المصيرية، ثم يلقي بك في خضم مسائل الكتاب وما تحويه المادة العلمية، ويوقد فيك العزم، متمثلا حالة بذل العقل والاجتهاد ونبذ التقليد، وهو منهج في ظاهره التداخل والاستطراد ولكنه في الواقع عمل فكري منظم يقوم علي لبنات بينها رباط روحي وفكري واحد، يقوم ثالثها على ثانيها، وثانيها على أولها وهكذا ...، وأضرب مثالا على ذلك في تبرمه من الواقع الأدبي والنقدي المعاصر والذي يأمل أن

(١) محمد أبو موسى، "البلاغة القرآنية"، ٨.

تتجاوزه الأمة، يقول في مقدمة كتابه "دراسة في البلاغة والشعر": "والذي نجده على الساحة الآن ضربان أو تياران:

تيار النقلة والتراجمة، والذين يستلون ما في رؤوس الآخرين، وينادون عليها في خرائب فجاج الفكر، ونسميهم مبدعين، ومفكرين ومجددين، وهم مغتبطون بذلك، والكل مكتف به.

والتيار الثاني: تيار الحفظة والحملة الذين ينطقون بسطور الكتب، من غير أن ينفحوها بنفحات الإلهام، فيعيدوا تشكيلها، وتصويرها، ويخلقوها خلقا بعد خلق ...وهكذا كانت طبقات الفقهاء والمحدثين وغيرهم من ذوي المؤلفات المتميزة، وإن كانت خيوطها مستلة من إرث السابقين"(١).

فهو هنا يرسم ملامح أو معالم المنهج التجديدي الذي يدعو ويحث إليه، فهو المنهج المتصالح مع أصله وينهض على أساسات أفكاره ويتطور فيها من داخل أصولها دون أن ينقضها بالهدم.

لذلك كان حديثه المتكرر في سياقات عدة، هو تحريك خواطر طلاب العلم في سبيل دفع عجلة التجديد في المنهج المعرفي قاطبة والبلاغي على وجه الخصوص هو الإحساس بعظم المسؤولية الملاقاة على سواعد الجيل في الموقف الحضاري من الواقع المعرفي.

ثم هو يحدد معابر الطريق المفضية إلى ذلك المنهج القويم، ويحاول وضع أقدام الناشئة على ذلك السبيل ويحفزهم إليه، ويرى أن ودراسة نشأة العلوم لها أكبر أثر في استنفار واستفزاز عقول الناشئين من الباحثين حتى يستشرفوا إلى إنتاج معرفة، وأن إنتاج المعرفة ليس أمرا مستحيلا، وأنهم أحفاد علماء بنوا وأنتجوا، وهذا يدفعهم إلى رفض أن يعيشوا مستهلكين لمعرفة الآخرين كما تدعوهم التيارات المسيطرة على الساحة، والتي استراحت واستنامت وبثت الخمول فيمن حولها.

(١) محمد أبو موسى "دراسة في البلاغة والشعر"، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة)، ١١.

إذن كان ذلك بمثابة الوقود الروحي الذي يسهم به الدكتور أبو موسى ويرسم المسار الذي ينبغي للجيل من حملة العلم أن يسلكوه، ويحرك طاقاتهم العقلية والعلمية في الاتجاه الذي يصب في رصيد الأمة الحضاري.

وإذا تتبعنا مسالك التجديد التي انتهجها في علم البلاغة، نجدها نحت مناحي عدة ما بين تجديد في الأفكار والمضامين الفكرية في الدرس البلاغي، وتجديد في الأدوات والروابط والآليات، ونجمل ذلك في مباحث كالتالي:

أولا: خطاب التجديد في الدرس البلاغي:

١– نظرية النظم وجوهر الشعر، الأصول والامتداد:

راج في الوسط الثقافي والأدبي، حقبة من الزمن، بعض الأفكار والتصورات عن تداخل العلاقة بين البلاغة العربية والفكر اليوناني واتصالها به حضاريا في الأصول والامتدادات والنشأة، ولأن هذا الخطاب الثقافي كان يصدر عن أسماء علمية وثقافية لها ثقلها في الوسط الفكري، فقد ظلت هذه الآراء متداولة وكأنها مسلمات معرفية لا تقبل النقاش أو المساءلة.

ولعل من تجديد الفكر إعادة النظر في أقوال السابقين وتمحيصها بالتتبع لمنشأ الأفكار في المسائل التكونية لأصول المعرفة. ومن ذلك، مسألة تكون فكرة النظم عند عبد القاهر. فقد عالج هذه المسألة الدكتور أبو موسى من جذرها التي نبتت منه، فوجد بونا شاسعا بين كلام أرسطو وكلام عبد القاهر الجرجاني، ووجد قربا شديدا بين حديث عبد القاهر وأوصاف أبي تمام عن الشعر، من حيث نظمه وتجويده ومراجعته.

يقول الدكتور محمد أبو موسى: "ومن الغريب أن يقول الدكتور شكري عياد إن فكرة النظم عند عبد القاهر من وحي كلام أرسطو في الوحدة في كتاب الشعر، وراجع إلى كلام أرسطو في الوحدة، ووضعت كلام عبد القاهر بينه وبين كلام أبي تمام فوجدت

بعدا شاسعا بين كلام عبد القاهر وأرسطو وقربا شديدا كما بينت بينه وبين أبي تمام"(١).

وقد أجرى مقارنة بين أوصاف الشعر على ألسنة كبار الشعراء كبشار، وأبي تمام، والبحتري وبين كلام عبد القاهر في هذا الصدد وبين وجه العلاقة بينهما، يقول بشار:

وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

ويقول أبي تمام:

حذاء تمـــلأ كل أذن حكمة وبلاغـة وتـدر كل وريـــد

كالطعنة النجلاء من يد ثائر بأخيه أو كالضربة الأخدود

ومن ذلك قول البحتري:

سوائر شعر جامع بدد العلى تعلقن من قبلي وأتعبن من بعدي

يقدر فيهـا صـــانع متعمـل لإحكامها تقدير داود في السـرد

ووجه الاستدلال بالأبيات أن هؤلاء الشعراء وصفوا عملهم، واجتهادهم في صناعة الشعر وتجويد بلاغته وهم أهل الصنعة، وأن الذي قالوه في صناعتهم لا يجوز إغفاله. وأن المكابدة في إنشاء الكلام يعد أصلا من أصول البلاغة، وأن عبد القاهر ذكر أن كل كلام جيد، وله قيمة لا تتحقق إلا ببذل مجهود، وأنك إذا رأيت كلاما يعطيك جوهره بسلاسة وسهولة من غير مجهود، فالواجب أن تعتقد أن المتكلم الذي يسره لك قد بذل مجهودا، وهذا كلام مشهور لعبد القاهر في أسرار البلاغة في باب التمثيل... وقد عقب عبد القاهر على هذه الأبيات ونظائرها "ليس كلامهم – يعني كلام الشعراء – كلام من خطر ذلك منه ببال – يعني القول بأن البلاغة في مذاقة الحروف ...، وأن ليس في هو الدر والمرجان مؤلفا بالشذر في العقد، والذي كان له

(١) محمد أبو موسى، "مراجعات في أصول الدرس البلاغي". (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٦هـ)، ٣٧.

البحتري مقدرا تقدير داود في السرد، كيف؟ وهذه كلها عبارات عما يدرك بالعقل ويستنبط بالفكر، وليس الفكر الطريق إلى تمييز ما يثقل على اللسان مما لا يثقل، وإنما الطريق إلى ذلك الحس"(١).

المقاربة هنا من كلام الدكتور أبي موسى: "وهذا القول نص صريح في أن كلام الشعراء في البلاغة مصدر من مصادر علمائها، وأن عبد القاهر كان يستدل في تقرير أصول هذا العلم بكلام الشعراء كما يستدل بأقوال العلماء، وأنه لا يجوز لمن يؤرخ لهذا العلم أن يغفل هذا"(٢).

الأمر الآخر: هو إثبات مركزية مبنى الطباع في تأسيس الأصل البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني والذي يقوم على أمرين:

الأول: الفطرة الإنسانية، وهي لزوم سجية الطبع، التي ذكرها في أول كتاب الأسرار؛ والذي جعل كلام العرب المتقدمين "أمكن في العقول، وأبعد من القلق، وأوضح للمراد الكلام، ...، وأسلم من التفاوت، وأكشف عن الأعراض، وأنصر للجهة التي تنحو نحو العقل"(٣). ويستشهد د. أبو موسى بنص للإمام عبد القاهر في تنظيم المجهود المبذول في تثقيف الكلام والذي هو تثبيت وتأكيد لحقيقة بيانية جليلة؛ وهي أننا نعمل العقل في المعاني، ننشئها في نفوسنا، ونصرفها في فكرنا، ونناجي بها قلوبنا، وهذا هو لزوم سجية الطبع وجوهر البلاغة "ولن تجد أيمن طائرا وأحسن أولا وآخرا، وأهدى إلى الإحسان، وأجلب للاستحسان من أن ترسل المعاني على سجيتها، وتدعها

(١) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤١٣هـ)، ٥١٩.
(٢) مراجعات في أصول الدرس البلاغي (بتصرف): ٣٨-٤١
(٣) عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة". تحقيق: محمود شاكر، (ط١، جدة: دار المدني، ١٤١٢هـ)، ٨.

تطلب لأنفسها الألفاظ؛ فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها"[1].

والأمر الثاني : وهو مبني على الأول، وفحواه أن الارتباط بطرائق اللغة في الإبانة عن المعاني داخل في سننها ومجاريها، وطرائق أصحابها في الإبانة عن أغراضهم، ومقاصدهم، كقولنا: "أن العرب يقدمون الذي بيانه أهم وهم به أعنى، وإن التقديم في كلامهم ناشئ من العناية والاهتمام، وأن التعريف في الخبر بالألف واللام يفيد كذا وكذا، والتعريف باسم الإشارة يفيد كذا وكذا...، وكل ذلك باق لا يحول ولا يزول مادامت هذه اللغة في أفواهنا وبطرائقها، برهان على صحة القاعدة البلاغية، وهو أنها مستخرجة من سنن العرب، وطرائقهم في الإبانة عن معانيهم ، ومقاصدهم"[2].

وفي هذا إثبات لعربية فكرة النظم القائمة على توخي معاني النحو وفق الأغراض التي في النفس، وسائر الفنون الناشئة عن مواقع المعاني من النفس لصاحب هذا اللسان وجارية وفق قوانينها البيانية.

٢- أفق التلقي في فهم الدلالة:

وأقصد بذلك توسيع دائرة الفهم والتذوق ببعد الإشارة وحسن الدلالة في صور التشبيه والتمثيل، بنقلها من محيطها اللغوي المحدود إلى حقلها الدلالي المفتوح مع التأكيد على قوة الربط بينهما. فقد كتب الدكتور محمد أبو موسى كتابه التصوير البياني قبل حوالى خمسين عاما، ولفت فيه إلى لفتات متقدمة جدا في انفتاح القراءات التأويلية للصورة الواحدة، وتحريك المعاني الثانوية الغائبة عن أفق المشهد المحسوس، ففتح طريقا ممهودا باستحضاره لبعض النماذج الغنية في هذا الباب، ومن ذلك صورة القمر الذي عاد كالعرجون القديم، وقد كانت التأويلات في الآية الكريمة :«**والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**»(٣٩-يس) تقف عند حدود الهيئة الماثلة بين شكل القمر

(١) السابق: ١٤.

(٢) محمد أبو موسى، "مراجعات في أصول الدرس البلاغي" (بتصرف): ١٦١.

الناقص في استدارته، وبين انحناء جذع النخل المستدير، وهو تأويل إن صح في واقع الشكل الخارجي من جهة فإنه لا يقع موقعا من النفس إلا بتوسيع الدلالة واستنطاق المعاني الثانوية، حيث قال: "العرجون القديم لا يشارك القمر في الشكل فحسب، وإنما هناك معان أخرى منها أن العرجون القديم كأنه شيء تائه لا يلتفت إليه، وكذلك القمر في هذه المرحلة تراه ضالا في السماء لا تتعلق به الأبصار، ومنها أن كلا منهما كان موضع العناية ومتعلق الأنظار، فالعرجون كان الثمر والنفع، والقمر كان مرسل النور والهداية، فقوله "حتى عاد" يطوي قصة رحلة طويلة بدأها هلالا ثم مضى في مسيرة طويلة"(١).

وهذا التأويل المتناهي في الفهم والدلالة قائم على تحريك الخواطر، والبحث عما وراء الصور الظاهرة المحسوسة من علائق معنوية منطوية داخل النفس، من بلاغة الاستنباط واستحسان المقاربة ولطافة النظر، فتح بابا منيعا في الدراسات التحليلية، وحرك المعاني الدفينة خلف علائق الصور، فكان فتحا بيانيا أثرى الدرس البلاغي التحليلي. ومكاشفة النص واستنطاق أبعاده الدلالية المحتملة ملمح من ملامح التحليل المنضبط عند الدكتور محمد أبو موسى؛ وذلك بتوسيع أفق المعنى من خلال تقليب وجوه الدلالات وإيحاءات اللفظ والجمل الشعرية، دون المساس بالمعنى الدلالي النصي الأول في النص، وهذا ما يميز الدرس التحليلي عنده عن المناهج التحليلية الحديثة التي تفتح أفق التأويل على مصارعيه، وتعزل النص عن واقعه الاجتماعي والنفسي، فيفضي إلى شيء من الابتعاد التأويلي بأصول الدلالات، كما هو قائم في القراءات البنيوية والتفكيكية...

وفي دالية كعب بن زهير (البردة) يضع معيارا ضابطا يتسم بالاتزان والعمق لاتساقه مع أحوال وملابسات الحالة التي لفت أجواء القصيدة دون انحرافه أو تسطيحه، فلا

(١) محمد أبو موسى، "التصوير البياني". (ط٧، القاهرة: مكتبة وهبة)، ٨١.

هو الذي يقحم معنى ذهاب السعادة والأمن بتأويل قول: (بانت سعاد) ولا هو بالذي يمنعه، وإنما اتخذ بين ذلك قواما، فيقول: "من الخطأ أن ترفض الدلالة الحرفية للشعر لتفرض عليه دلالة تتوهمها، كأن تقول إن سعاد التي بانت هنا هي الأمن الذي طار عن كعب لما توعده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما نقول فقط، إن البين وما يعقبه من هموم النفس، يحيا وحيا بحال كعب وأن الشعر هنا يومئ ببنان خفية إلى حاله رضوان الله عليه"(١). ثم تراه يعلل لهذا المسألة ويفتح باب التأثيل القائم على أساس متين مستمد من عمق التراث، فيقول: "واعلم أن هذا وإن كان لا يدخل في باب التمثيل البلاغي فإنه يسبح حوله، وإن شئت أدخلته في باب معنى المعنى؛ أي المعاني التي وراء المعاني ولا ضير أن تكون وراءها بمسافة أبعد أو أن تكون في باب مستتبعات التراكيب"، فكأنه يحاول مع فتح أفق النص وبسط دلالات التراكيب والجمل، يحاول رفع الحرج وإيجاد المسوغات العلمية لذلك. وخطاب التجديد هنا قائم على وجهين:

أولا: قيام هذا التأويل القرائي على حس رفيع بدلالات اللغة ومفردات القصيدة وتراكيبها، وتوظيف كل الملابسات المتعلقة بالقصيدة وأحوالها والظروف المحيطة بها وربطها بمقاصدها الكبرى وغرضها الأم، ربطا غير متعسف يتأباه جو القصيدة، وإنما تتشربه النفس الذواقة بمتعة وتلذذ، ولا يستهجنه عرف اللغة وقانونها أو معجم المعاني الدلالية للقصيدة.

ثانيا: أن هذا الاجتهاد في التأويل القرائي جاء من حدود وقوانين اللغة وقائم على أصولها، فليس فيه هجنة، ولا داخلته حمى الاستجلاب من ثقافة الآخر، فهو حبل ممدود طرفه الأول من عمق التراث البلاغي، وطرفه الآخر الواقع الثقافي والنقدي المعاش بما فيه من قضايا وتحولات فكرية يقتضي التوسع في أفق التلقي الأدبي.

(١) محمد أبو موسى، "قراءة في الأدب القديم": ٣٤.

٣– فقه دلالة النغم:

ويراد به استنطاق المعاني القابعة خلف جرس الحروف وأصوات المخارج في الإنشاد، فطاقة اللغة في بيان المعاني لا تقف عند حدود دلالة الألفاظ وخواص التراكيب وما تثيره إيحاءات الصور واختلاف السياقات في الكلام، فلابد من إثارة كل ما من شأنه أن يمد طاقة الكلام بلطيف المعاني.

والجديد الذي لفت إليه الدكتور محمد أبو موسى، ليس هو تحريك جرس النغم الساكن في الحروف فقط، بل تعدى الأمر إلى استتباع ورصد الطاقة التي أحدثتها الهالة الصوتية وراء الأنغام والألحان الصادرة عن التغني بالأبيات الشعرية وإشباعها بالأنغام، وأورد في ذلك مثالا من كتاب الأغاني، وذكر "أن الشاعر كان إذا سمع شعره يغنى غناء متقنا مصحوبا بالألحان المتقنة والصوت الحسن والترجيع المتقن تراءى له من شعره ومن جودة صنعته وثراء خواطره مالم يكن فيه"(١). أي، ما سكن فيه وجودا، وسكت عنه ظاهرا، فالتقطته اهتزازات أنغام اللحن وتماوج الصوت.

وإثارة الأسئلة المنهجية تفتح آفاق الفكر المعرفي؛ لأنه يفضي إلى تأمل وإعمال الفكر في موضوع دقيق في لغة الشعر المنشد المغنى. وقد أثار الدكتور محمد أبو موسى أسئلة عن وجودية الشعر الموزون المغنى من خلال عرضه لنموذج من نماذج الشعر الوارد في كتاب الأغاني في أخبار شعر نصيب الراعي وقد غنته جارية صوتها عذب وتحسن الغناء في قوله(٢):

له حاجة قد طالما قد أسرها من الناس في صدر بها يتصدع
تحملها طول الزمان لعلها يكون لها يوما من الدهر منزع

(١) محمد أبو موسى، "التصوير البياني"، ٨–٩.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، "الأغاني". تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم سعافين وعساس، (ط٥، بيروت: دار صادر، ١٤٤٠هـ)، ٢٣٣–٢٣٤.

وقد قرعت في أم عمرو لي العصا قديما كما كانت لذي الحلم تقرع

قال نصيب: فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طربا لحسن الغناء، وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها وإحكامها. أي أنها حسرت عن شيء كان متواريا خلف النغم ولحن الكلام، ولولا الإنشاد المشبع بالصوت والألحان لظل خافيا، ثم زادت الجارية بإنشاد أبيات له أخرى:

أيها الركب إني غير تابعكم حتى تلموا وأنتم بي ملمونا

فما أرى مثلكم ركبا كشكلكم يدعوهم ذو هوى إلا يعوجونا

أم خبروني عن دائي بعلمكم وأعلم الناس بالداء الأطبونا

يقول الدكتور أبو موسى معلقا على زهو نصيب من غناء الجارية: "ولا أعرف شيئا حير نصيبا وأذهله وزهاه حتى ظن نفسه من قريش إلا شيئا كان ساكنا وساكتا في لحنه، ونغم شعره، واستطاعت هذه الجارية أن تنطقه فلما نطق فعل بنصيب ما فعل"(١). إذا المعاني كانت مطوية في صوت الجارية حينما غنت وترنمت بحروف وكلمات هذه الأبيات! ويفتح د. أبو موسى آفاقا مشرعة للبحث والتحري والتدقيق، فيرى أن كتاب الأغاني بحاجة إلى دارسة للشعر الذي اختير للغناء لماذا اختير؟ ولماذا غنيت تلك الأصوات؟ وذلك في فقه دلالة النغم الشعري على وجه الخصوص.

ونوع العلاقة القائمة بين الوزن واختيار البحر الشعري وصلته بفكرة القصيدة وما تحمله من معاني، باب فتحه العلماء واجتهدوا فيه وخاضوا تجاربهم التحليلية، وقد لفت إليه د. محمد حماسة في كتابة الماتع "الإبداع الموازي – التحليل النصي للشعر". في حديثه عن منهج الأستاذ محمود شاكر في نمطه الصعب لتحليل قصيدة: "إن بالشعب الذي دون سلع" وتطرق لإشارات الفارابي في قوانين صناعة الشعر لأرسطو، وأن

(١) محمد أبو موسى، "التصوير البياني": ٩.

اليونانيين جعلوا لكل نوع من أنواع الشعر نوعا من الوزن .. وتطرق ابن سينا لهذا الباب فجعل اللحن من ضمن الأمور التي يخيل بها الشعر، وذكر د. حماسة أن حازم القرطاجني تعرض لهذه المسألة في الشعر العربي وربط بين علاقة البحر بالقوة واللين كالطويل يناسب القوة والبسيط فيه طلاوة وللكامل جزالة وللمديد والرمل لين يجعلهما أقرب للرثاء، ثم نرى د. حماسة أيضا، ينقل عدم اطراد هذه المسألة واضطرابها حينما نقل رأي د. عبد الله الطيب صاحب "المرشد في فهم أشعار العرب" في خلاف ما رآه حازم في بحر المديد وأنه بحر فيه صلابة ووحشة وعنف. ..."[(١)]، والذي يهمني أن هذا الباب على ما فيه من عدم استقرار، هو قريب جدا من الباب الذي نحن بصدده –ابن سينا– حازم القرطاجني، (محمود شاكر، عبد الله الطيب) وما تحدث عنه د. محمد أبو موسى يمكن عده امتدادا لهذا الأفكار واتساعا لها بحس واع ضابط لإشارات العلماء في قراءاتهم للتراث الشعري.

٤– ولادة الفكرة البلاغية، نشأتها ومآلها:

الاستقراء الواعي لحركة نمو العلوم وتمددها، والاعتماد على الأدلة والبراهين في استنباط الأحكام والآراء، سمة من سمات العلماء المتجردين، الذين يبنون أحكامهم وآرائهم على بصيرة علمية، ودليل عقلي لا تعوزه الحجة والبرهان. وقد عرف الدكتور محمد أبو موسى باستقلاله في بناء التصورات والأحكام واستنباطها دون التأثر بالأسماء والشخصيات العلمية، لأنه صاحب عقل مجتهد، وعمل دؤوب متواصل في تأصيل المسائل ومعرفة الفنون البلاغية، كيف ولدت ونشأت ونمت، فلديه قدرة على تتبع إرهاصاتها، وكيف تشكلت نواتها الأولى، ثم رؤية تمدد الأسلوب في طيات الأساليب وطرائق الكلام، مستمسكا بنور الفكرة، دون ضياع أو تشويش في نسبة هذه الأفكار

(١) د. محمد حماسة، "الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر"، (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م)، ١٩٦-٢٠١.

وردها إلى أصولها البلاغية. وهذ من معالم التميز وتجديد الدراسة البلاغية. فكما أن الدكتور أبو موسى استطاع أن يثبت عربية فكرة النظم وامتدادها، كما مر بنا في المبحث الأول من البحث، فإنه تميز أيضا، بمقدرته على تتبع أفكار عبد القاهر التي كانت نواة لبعض القضايا البلاغية، والتي أفضت بعضها إلى بعض، فقد كان كلفا بهذا الأمر، نادبا نفسه بالدعوة إليه، فيرى أن تاريخ علوم فنون علم البلاغة يحتاج إلى استقراء كل فن على حده، وتتبع المادة العلمية ورصدها رصدا دقيقا، والالتفات إلى منعطفات سيرها عبر الزمن، منذ أن كانت فكرة، لأن الذين كتبوا في تاريخ البلاغة عنوا بتاريخ رجالها وبعرض أهم مصنفاتهم وبتحديد مصطلحاتها، وبقي الجزء الأهم، وهو تاريخ فنون البلاغة"(١). وفي ذلك يقول: "ولنبدأ بمصطلح "القصر" الذي هو رأس الباب، ونقول: إن الذي أطلق هذا المصطلح على جملة مباحثه فيما نظن، هو أبو يعقوب السكاكي، وأن "مفتاح العلوم" هو أول كتاب نقرأ فيه فصلا في بيان القصر...، أما عبد القاهر فقد تحدر حديثه إلى مسائله من باب بحثه عن مواقع "إن" في الكلام ودلالاتها"(٢).

فالدكتور محمد أبو موسى يتتبع نشأة تفرع هذا الباب الكبير، المعقود في علم المعاني، كيف تشكلت مسائله وتفرعت وتبوبت على يد الإمام عبد القاهر، ابتداء من حرف التوكيد "إن"، ويعرض لكلام الشيخ عبد القاهر في هذه المسألة: "وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق والأمور الخفية بالشئ يدرك بالهوينى، ونحن نقتصر الآن على ما ذكرناه ونأخذ في القول عليها إذا اتصلت بها "ما"(٣). ثم بين تحرير هذه المسألة وكيف قررها الإمام عبد القاهر في حديثه عن "إنما" وكيف قاده ذلك إلى النفي والاستثناء والعطف. وكيف فات هذا الأمر ابن الخطيب الرازي مع عنايته ترجمة هذه

(١) محمد أبو موسى، "مراجعات في أصول الدرس البلاغي": ٧-٦.

(٢) محمد أبو موسى، "دلالات التراكيب"، (ط٤، القاهرة: مكتبة وهبة)، ٤٥.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٢١٤.

المسألة، وحرصه الكبير على تصنيف تراث الإمام عبد القاهر الجرجاني وتبويبه في مصطلحات علمية.

لقد اهتم الدكتور أبو موسى في مقام آخر بمراجعته لمصادر المعرفة لدى عبد القاهر، وتتبعه من أين تولد فكره البلاغي، فوجد أن علمه كان نتاج تمازج بين تيارين معرفيين أصيلين، قدح بينهما فأنتج تيارا معرفيا جديدا، وذلك حين قدح علم النحو من كتاب سيبويه وعلم الأدب من كتب الجاحظ، فكانت ولادة فكرة النظم. وقد أثبت أن الجاحظ كان صاحب الأثر الأكبر في فكر عبد القاهر البلاغي يقول: "المشهور عند الدارسين أن سيبويه له الأثر الأكبر في بناء عبد القاهر لعلمه، والصحيح أن هذا الأثر الأكبر للجاحظ، وأن تعويل عبد القاهر على الجاحظ وهو يكشف ويستخرج ويبين المعرفة، ويرفع الحجب، ويفري فريه، أضعاف تعويله على غيره"(١).

وهذا الحكم الذي بناء كان نتيجة استقراء وتتبع في نتاج عبد القاهر، وتحليله لمسائل المعرفة، ويدلل على ذلك بأن ورود ذكر سيبويه في فكر عبد القاهر كان مقصورا على معاني النحو، واقتصر حضوره أيضا على كتاب "دلائل الإعجاز"، أما ذكر الجاحظ فقد كان واردا في الكتابين "أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز". ثم يثير سؤالا في هذا الصدد: كيف كان الجاحظ واردا في الكتابين برغم أن كتاب الدلائل كان فحواه ومدار قاعدته تدور حول قضية معاني النحو الذي هو صنعة سيبويه وليس للجاحظ فيها كلام؟! ويجيب هو عن هذا الإشكال الدقيق الذي ينم عن دراية تامة ووعي بمنشأ المعرفة ومآلها في وعي عبد القاهر الفكري، إذ يقول: "يزيل هذه الغرابة هو أن عبد القاهر كان يقدح علم سيبويه بعلم الجاحظ، ويقدح علم الجاحظ بعلم سيبويه، وأنه استخرج من بينهما ما كتب"(٢). ويخرج بحقيقة علمية تحقق التوازن في هذه المسألة

(١) محمد أبو موسى، "مدخل إلى كتابي عبد القاهر"، (ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة)، ٣٤.
(٢) السابق: ٣٤.

المهمة في تحديد مصدر المعرفة عند عبد القاهر؛ وهو أن سيبويه أوسع الناس عند عبد القاهر بمعاني النحو، والجاحظ أوسع الناس علما بالشعر، والنحو والشعر هما العلمان اللذان استخرج منهما هذا العلم؛ لأن الشعر هو معدن البلاغة، والنحو هو الناسب لها الذي ينميها إلى أصولها"(١).

٥- إفهام العامة معاني الخاصة:

هي القدرة على تقريب الأفكار البعيدة والمعاني الغائرة بلغة عالية وأسلوب جاذب. وهذا تراه ماثلا في جميع كتبه. وتسهيل العلوم والمعارف وتقريب الأفكار للأجيال مطلب سام، فكل عالم يسعى إليه، وقلة نادرة جدا من يحققه في ميدان الدرس والمعرفة، خاصة في العلوم اللسانية والبيانية التي تخطو بخطوات متوازية من العمق المعرفي مع ما يدور في فلك الدراسات التحليلية والنظريات النقدية، وهذا أمر يتطلب قدرة فائقة على احتواء المعاني بثراء فكري ولغوي كبيرين، فهو من دلائل تفوق العالم وهيمنته على مادته العلمية، وأمارة العالم المخلص لرسالته ونبل هدفه العلمي. والدكتور محمد أبو موسى صاحب هم معرفي لا يخفى على كل مطلع على كتبه فضلا على من عرفه عن كثب، وهو يحكي ذلك الهم المعرف الذي يكابده إذ يقول: "رأيت واقعا منحرفا، فالنخبة من الكتاب يكتب لبعضهم البعض، والعلماء منصرفون إلى أهل التخصص، فالفقيه يكتب للفقهاء، والمؤرخ يكتب للمؤرخين، والرياضي يكتب لعلماء الرياضة، والجسم الأكبر من جماهير الأمة منسي حتى حسب الناس أن العلم مقصور على أهله"(٢).

وهذا ما حدا بالدكتور محمد أبي موسى أن يجتهد في تقريب وتذليل الخطاب

(١) محمد أبو موسى، "مدخل الى كتابي عبد القاهر"، (بتصرف): ٣٤.

(٢) محمد أبو موسى، "من مناهجنا الغائبة في إعداد أجيالنا"، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٢٣م)، ١٢.

العلمي في مسائل البلاغة وأن يعالج مناط الفائدة العلمية ويحررها بمهارة متناهية في بسط لغة العلم مع تمكن في المادة العلمية ومقدرة على تقريب بعيدها وغائرها لإفهام الناس، لأنه علم يحتاج إليه.

فتجد طلاب العلم شركة على موائد كتبه البلاغية ابتداء من حدثاء الطلب كطلاب السنة الجامعية الأولى حتى بلوغ درجة الأستاذية، ينهلون من كتبه وعلمه ويرتقون مدرجة مدرجة في الفهم وفي العمق الإدراكي لأبعاد المسائل والنزع منها بقدر إعمال العقل وكد الخاطر والمثابرة في حسن الاستيعاب والاستنباط.

٦– فقه البلاغة وروحها:

هما: أمران إضافيان إلى علم البلاغة في ثوبها المعروف:

وأقصد بذلك أن من الأمور المائزة التي نجدها في طريقة د. محمد أبي موسى في التأليف البلاغي وإلقاء الدروس أنها تتشابه إلى حد كبير من حيث الجملة والغاية وتحقيق الفائدة، لكن يمكن أن أنبه إلى شيئين تميز فيهما الدكتور أبو موسى وأصبحا جزءا من طريقته العلمية:

أولا: فقه البلاغة:

وهذا تراه في دروسه وكتبه، وهو ما يمكن عده من فقه علم البلاغة؛ وأقصد بها هنا: استخلاص معاقد المعاني والأصول البلاغية، ومناط التحري والفائدة من المناقشات، وطرح المسائل البلاغية، ومحاولة تقريبها؛ بشرحها وتفكيك المتون من عبارات العلماء وجعلها رأسا في فتح مسائل الباب؛ وذكر تفصيلها. ويتضح ذلك بجلاء في فهارس محتويات كتبه، فترى فيها تفصيلات المسائل، فلا يكتفي بعرضه لرأس المبحث أو معاقد الفصول والأبواب التي يكتفي بها المؤلفون عادة في هذا المقام، وكأن الشيخ أبا موسى حريص على أن يضع يد طالب العلم/قارئ الكتاب على ما وقف هو عليه من الحقائق ويقحمه في الدخول إلى لب المسائل؛ خشية أن تفوته؛ لذا تجد فهرس

المحتويات في كتبه تمتد إلى عشرات الصفحات، وذلك أمر لم نألفه عادة في كتب البلاغيين من قبله، ولا غير البلاغيين. ومثال ذلك من كتابه "دلالات التراكيب" في باب القصر يضع عنوانا مفصلا لنشأة المصطلح: (مصطلح القصر وتحليله – كيف تحدر حديث عبد القاهر إلى مسائل القصر). كان بإمكانه أن يكتفي بقوله: مصطلح القصر وتحليله، ويشير إلى رقم الصفحة، ليذهب المتلقي ويجد بيان وتحليل ما تحدر من كلام عبد القاهر حتى وصوله إلى هذا المصطلح، لكنه الحرص الشديد على استنباط الفائدة، ومعرفة ذلك الأمر في باب القصر؛ ولذا تراه يجتهد كثيرا في تنقيح الكلمة المفتاحية للباب، ويبذل جهدا آخرا مضافا إلى تأليف العلم وشرح المسائل في الكتاب. وكذلك حينما يلخص فهارس الكتاب، وكأن العبارات التي يطرحها ويلخصها، هي المداخل الرئيسية للأفهام، وأنت تحاول فهم المسائل، وهو من فقه العلم المضاف إلى أبواب العلم ومسائله.

وقدر راجت هذه الطريقة في معظم كتبه التي ناقش فيها آراء العلماء، وكشف فيها وجوها جديرة بالوقوف والتأمل، وأصبحت سمة عامة من سمات كتبه، مثل: (خصائص التراكيب – مدخل إلى كتابي عبد القاهر – مراجعات في أصول الدرس البلاغي...).

منهج الشيخ أبو موسى في فقه البلاغة أنه لا يسعى إلى التحصيل العلمي الأولي لعلم البلاغة، كالوقوف على الظاهر من الأساليب أو استخراج الفنون البلاغية المختلفة، وإنما يسعى جاهدا في كل مؤلفاته العلمية، إلى ما يفضي بك إلى معنى لطيف خفي وسكن تحت طيات الأساليب وجمل الكلام وصوره الماثلة ونغمه النابض في جرس الحروف وترانيم الجمل وأوزانها، وإيقاظ حواسك البيانية لطلب الخبيء المغفول عنه. وهذا شيء ظاهر في منهج الدكتور محمد أبو موسى ولا يحتاج إلى كثير عناء لتقريبه للقارئ؛ فهو مطرد في كل تحليلات الشيخ وقراءاته المتنوعة في الكلام العالي.

ويمكن عد الطريقة في تلقي العلم وقراءة كلام العلماء وعلى الأخص متون الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)، واستنباط طريق البناء المعرفي في تأسيس العلوم وتأثيل المسائل.

وهذا النمط من البناء المعرفي لا يسلكه إلا من رسخت قدمه في تحصيل مسائل العلم واستفاض من التدقيق في كلام العلماء، وممن يجيده في علم البلاغة تلميذه النجيب الأستاذ الدكتور محمود توفيق سعد، في بعض كتبه التي خص بها الشيخ محمد أبو موسى، ككتاب (الكلمة نور)[١]. وهذا يتجلى عند الشيخ أبو موسى في محاضراته التي تقام في الجامع الأزهر، فهي تكاد تكون في إشاعة فقه البلاغة؛ لأنها لا تقوم على التحصيل المعرفي للمسائل البلاغية في العادة، وإنما تتقصى استنباط اللطائف الإحسانية واستتباع المعاني العالقة في النفس من جراء التدبر لما بين الكلمات والجمل والحروف وذلك من خلال التحليل الشمولي للرؤية الكلية والاستيعاب للجزئيات المسائل الأساليب والفنون والأبواب[٢].

من أمثال ذلك الاعتناء بطريقة القراءة وكيفيتها: فدائما ما تراه ينبه على طريقة قراءة كتب أهل العلم، وعدم التحصيل السريع للفوائد الظاهرة، وعدم التململ من ذلك والمثابرة

(١) وهو كتاب في فقه علم البلاغة، حاول فيه الدكتور محمود، إبراز منهاج التفكير عند الشيخ أبو موسى من خلال تحليله لبيان النبوة في شرح أحاديث صحيح مسلم، وعلاقته بالواقع العام والخاص، وتجاوز الأفق الموضعي إلى أفق الرؤية الموضوعية والعناية بتحقيق المقصد من البيان وضبط حركة الفهم. يراجع "الكلمة نور"، د. محمود توفيق سعد، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٧م).

(٢) هناك نوع تجديدي آخر في قراءة علم البلاغة واقع بين الفقه وأصول الفقه، ويمكن أن ندرجه تحت علم أصول فقه البلاغة. وقد أجاد في فتح هذا الباب الشيخ الدكتور محمود توفيق سعد، تراه واضحا في كتابيه الجليلين: سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة (دراسة منهجية تأويلية ناقدة) ودلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين (دراسة منهجية تحليلية).

والمصابرة في هذا الطريق الشاق والماتع؛ لأنه حري أن يفتح لك آفاقا لامحدودة من فضاءات العلم ويوشك أن يوصلك لأن تكون عالما، لأن معرفة العلم أمر متحصل بفهم المسائل واستيعابها، والمرحلة الأعز والأعلى شأوا، هو استيعاب طرق بناء المعرفة، كيف نشأت...، وترصد حركة العقل الذي ابتكر وصنع هذا الطريق.

فـ"طريقة القراءة تكشف لك هذه الغوامض، وتحل لك عقدها، مثل مسألة أيهما أولا: الدلائل أم الأسرار؟ حيث شغلت بال كثير من أهل العلم، ومن خلال طريقة التدبر أثناء القراءة بين الشيخ أن كتاب "أسرار البلاغة" كتب أولا، وجه ذلك أن "أسرار البلاغة" كتب لمعرفة الفرق بين شعر وشعر، أو بين بيان وبيان، أما "دلائل الإعجاز" فيفرق بين كلام البشر والإعجاز الذي في القرآن الكريم، والأدلة الي تثبت هذه الفروق، وهذا لا يكون إلا بعد الأول"(١).

ثانيا: روح البلاغة:

هي الإشارة إلى الخاطريات التي كان يجدها عبد القاهر في نفسه فارقة بين قراءة نصين في باب التمثيل، نص يدل دلالة من غير التمثيل، ونص يدل بطريق التمثيل، "ومعرفة سر المزية، لأن المعول عليه في معرفة الفروق، والوجوه، والأسرار، والعلل هو استشهاد القرائح، وسبر النفوس، وفليها، وما يعرض فيها من الأريحية ... وهذا الذي لا تملك فيه من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع"(٢). وقد بين الدكتور أبو موسى، أن هذا الباب عند عبد القاهر، كتب على غير مثال. والدكتور أبو موسى يجتهد بأن ينفذ إلى طريق مأنوس في الوصول إلى ما يجده المتلقي من فرق ما بين كلام وكلام، ليس من طريق الأسلوب أولا، وإنما من طريق ما تجده النفس من ارتياح وطربة روح.

(١) د. سعيد جمعة، "فن صناعة العلماء عند أبي موسى"، محمد أبو موسى، "كتاب شيخ البلاغيين"، ٥١٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة"، ١١٦.

يقول معلقا على كلام عبد القاهر: "وهذا ليس كلاما جليلا فحسب، وإنما هو أيضا طريق جليل في تدريب طلاب العلم، على معرفة أصوله ومسائله، وأنه لا يجوز أن تتكلم ألسنتنا في العلم بما سمعت وقرأت في كلام العلماء فحسب، بل أيضا بما وجدت في نفسها وذاقت بطبعها...وأنا أكره أن أقول هذا كلام حسن لأني حفظت هذه الجملة عن العلماء ..، وإنما أحب أن أقول هذا كلام حسن لأني وجدت حسنه في نفسي، ووجدت تمكنه في نفسي، وتحببه ونبله، وأنسه، وما أجل أن تتحبب إلى المعنى، وأجل منه أن يتحبب إليك المعنى"(١).

فليس تحبب المعنى إلى نفسك وتحبب نفسك إلى المعنى إلا التقاء الروح بالروح في معنى الكلام، وهو منتهى البلاغة. وهذا باب في بلاغة النفس من وقع الكلام وما يجده المتذوق من أثر مسكوت عنه.

٧– البلاغة وفقه الواقع:

الواقع هنا هو الامتداد الفكري لحركة الحياة ونبض الشارع العربي والإسلامي في قضاياه المصيرية، والشعور بالهم المشترك بين أفراد الأمة الواحدة، وعدم والانعزال عما يدور في مسرح الأحداث الواقعة على بلاد المسلمين.

وهذا المنهج قائم عند الدكتور محمد أبو موسى من جهتين، أولا: من جهة إحياء هذا المنهج بتأويل أمثلة الشواهد الشعرية في كتب البلاغيين وأمثلة ما جاء في كتابي عبد القاهر الجرجاني "الأسرار والدلائل"، وأن المتأمل في الاختيار القائم لمعاني الشواهد من قبل العلماء يجده ليس اعتباطيا منزوعا من سياق أدب التربية العلمية والأخلاقية بل كان مشتملا عليها مراعيا لها في مقامها الأسمى، فلذلك نجد حرصه على استثمار الشواهد لما فيها من طاقة خصبة في الارتقاء بأدب الفضيلة والسمو الروحي والأخلاقي، يقول في إحدى مجالس شرح دلائل الإعجاز: "الإمام عبد القاهر يسوق

(١) محمد أبو موسى، "مراجعات في أصول الدرس البلاغي"، ١٦٧.

من الشواهد ما يصنع منك إنسانا رائعا يحمي أرضه وعرضه، ويعلمك كيف تعيش كريما، لذا اهتم بشواهد العلماء ؛ لأنها تزرع النخوة والفروسية والشهامة في النفس وتبعدك عن الخساسة والدناءة"(١).

"ومن ذلك تعليقه على بيتين لعمرو معد يكرب أوردهما عبد القاهر في باب "الحذف"(٢):

هم حلوا من الشرف المعلى ومن حسب العشيرة حيث شاؤوا

بناة مكارم وأساة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء

"يجب أن نعلم أن الشرف والسيادة في تاريخنا لم يكن مصدرهما القهر والاستبداد، وإنما الأخلاق والمحبة والعطاء. وذكر الشاعر أنهم بناة مكارم هكذا بإطلاقها المستغرق مكارم الجود والنجدة والشجاعة والقوة إلى آخر ما تحمله العبارة، ثم هم أساة كلم، فهم يملكون من الشدة والحكمة ما يأسون به الجراح. عجيب أن يكون شرف النفس عند آبائي وآبائك بهذه المنزلة حتى إنهم ليعتقدون أن دماء الكرام تشفي من الدونية وأن القطرة من دمائهم ينقذ بها من سقط في وهدة الخسة والنذالة"(٣).

ثانيا : من جهة تقريره في اختيار الكتب والنصوص والنماذج البيانية العالية التي تحقق هذا الجانب، فاختياره لبعض الكتب التي تحقق مقاصده في إحياء المناهج الغائبة عن واقع الأمة والإعداد المنهجي والفكري للأجيال كاختياره بعض أمهات الكتب في الأدب العربي ليتناولها بالتحليل والتعليق وإظهار حال السلف في أدب النفس والتعامل

(١) من مجلس الشيخ الدكتور محمد أبو موسى في شرح "دلائل الإعجاز"، الجامع الأزهر، ٢٠١٨/١١/١٣م.

(٢) د. ياسين عطية "الاستشهاد بالشعر عند الشيخ محمد أبو موسى"، من مجموعة الأبحاث المهداة للشيخ أبو موسى: ١٠٧٢ - ١٠٧٣.

(٣) من مجلس جامع الأزهر في شرح "دلائل الإعجاز"، الجامع الأزهر، ٢٠١٨/١١/١٣م.

مع المتغيرات والمقتضيات الحياتية بمنهج شرعي قويم، كما جاء في كتابه الصادر مؤخرا "من مناهجنا الغائبة في إعداد أجيالنا"(١)، التي اشتملت على ثلاثة كتب، هي: "عيون الأخبار" لابن قتيبة، و كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي، وكتاب "زهر الآداب وثمرة الألباب" للحصري القيرواني، كانت تدور موضوعاتها المنتقاة بالأخبار ولتحليل والتعليق في فلك تربوي واحد تقريبا، وهو العناية بالأجيال القادمة، وأن عمارة الأرض من صلب العبادة، وتحريم الخروج على الحاكم دفعا للفتنة، والفضائل التي حجبتها الرذائل، وهكذا .. وهي موضوعات تنصب في فهم الواقع المعاش فهما عميقا. كما ظهر ذلك جليا في دراسته لشرح أحاديث من صحيح مسلم، "فقد احتفى الشيخ في هذا الكتاب بواقع الأمة وبالوفاء ببعض حقها عليه، مستثمرا في هذا حسن البصر ببيان النبوة وماله من مهارة فهم لسان العربية في أسمى صوره، وماله من قدرة فنية على الإبانة عما يتوافد على فؤاده من ثمار الفهم عن الله تعالى والفهم عن رسوله عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام"(٢).

"من هذا تراه في الجزء الأول من الكتاب حفيا بأحاديث الإصلاح لحال هذه الأمة، وإعادته على ثبج مضمارها الذي خلقت له: مخرجة للناس من الظلمات إلى النور ... ترى احتفاءه بالأحاديث الكاشفة عما يطارد الأمة عن مضمارها –مضمار نصرة الحق، وصناعة الخير ونشره– الذي يجب أن تكون في ثبجه تقدم الأمم"(٣).

أما الجزء الثاني من كتابه فقد جاء بها في باب تحصين الأمة وحمايتها وحفاظها

(١) د. محمد أبو موسى، "من مناهجنا الغائبة في إعداد أجيالنا"، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة ٢٠٢٣م).

(٢) د. محمود توفيق سعد، "الكلمة نور، محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم"، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٨هـ)، ٢٨ – ٢٩.

(٣) السابق: ٢٩.

من عوامل الفرقة والتهالك، وجاءت في أربعة أبواب: الأول: اختيار أحاديث في تحصين مال الأمة. والثاني: في أحاديث تحصينها بالرسالة المحمدية. والثالث: في أحاديث تحصينها بالتآخي والتراحم والعدل. والرابع: في أحاديث تحصينها بالزلفى إلى الله تعالى".

فالشيخ أبو موسى شديد الارتباط بهذا النسق البلاغي المنطلق من روح الكلمة وموقعها في النفس وما يتصل بوعي الأمة في مستوياتها الأخلاقية والفكرية والبنائية، فتراه يبحث عن الأفق الأرحب في فقه التلقي، وتحقيق المقاصد الكبرى من رسالة العلم وغاية العالم.

٨- البناء على الأصول البلاغية:

هي العودة بمسائل البلاغة إلى أصولها الأولى التي تشكلت على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز"، فهي الأصول المتينة التي يعتمد عليها في تحليل النصوص، وتتبع حركة المعنى في النص. وعدم تبويب المسائل وتفريعها واختصارها في صورتها المبثوثة في المختصرات وكتب الشروح البلاغية المقننة، فهو يحاول أن يعتمد على الأصول الثابتة التي لا تتغير بتغير أحوال الزمان. كلزوم سجية الطبع التي هي أصل الاستحسان في فنون البلاغة. وكأنه عمل يسير خلاف اجتهاد بعض العلماء الذين يحاولون تقريب البلاغة من خلال تفريعها وتبويب مسائلها. فالدكتور أبو موسى يعود بالبلاغة إلى منابعها الأم، وتقريبها وكد الخاطر في النظر إلى بيان علل الجمال ومواضع الحسن في الكلام جملة دون تفريع يفرغ روح المعنى، أو يشتت طاقة النص، فهو يجتهد في متابعة الأصل الذي كان يعتمد عليه عبد القاهر في ربط القاعدة البلاغية بما بنيت عليه الطباع، والبعد عن التكلف والاحتشاد لصقله وتهذيبه وهو من لوازم الفطرة السليمة التي جبلت على حب الإحسان.

وهذا ما نراه ماثلا في تحليلاته للنصوص المختارة وأثناء معالجته لمسائل علم البلاغة بفروعها فتجده ماثلا في كتابه "التصوير البياني" وتجده في معالجته لمسائل علم المعاني

في كتابيه (دلالات التراكيب وخصائص التراكيب). وتجده أيضا في فرع علم البديع أيضا التي عالج بعض مسائلها في مذكرته (علم البديع). والتي ناقشها وبسط محاورها تلميذه الوفي الأستاذ الدكتور محمود توفيق سعد. وأخرجها في كتاب (علم البديع عند الشيخ محمد أبو موسى)؛ فهو يدير مسائل علم البلاغة على تتبع حركة المعنى في تحريك المسائل وتحليل النصوص والاحتشاد والاعتماد على كتابي عبد القاهر الجرجاني في الأسرار والدلائل وإعمال العقل والروح والذوق في ذلك كله.

٩– تنامي المنهج وتمدد الأفكار:

من أمارات فاعلية المناهج التحليلية قابليتها للتطور والتحسين والمواكبة لحركة الفكر ونمو المعرفة الإنسانية، ولا شك أن ميدان تحليل النصوص الإبداعية بكافة أنواعها شعرا ونثرا خاضع لمعطيات الواقع المعرفي والثقافي ومتغيراته، فالقراءات التأويلية تتطور وتتعمق وتزداد قدرة على التأمل والاكتشاف، كما أن النص البديع يزداد عطاء وسخاء؛ فكلما كانت الأداة التأويلية نافذة إلى أعماق لغة النص الحي كان ذلك أدعى لاستخراج الجديد المتشكل مع حركة العقل المعرفي ونمو التفكير البلاغي.

والدكتور أبو موسى حريص على مواكبة التراث البلاغي وأدواته التحليلية لحركة العقل العربي وتعبيد طرائق التأتي لمعاقل المعاني في البيان العالي النابض بمعاني الحياة، فترى ذلك ماثلا في مراجعاته الدؤوبة لدراساته في مسائل العلم، فضلا عن إعادة النظر ومعاودة التدقيق في آلياته التحليلية للنصوص. فأنت ترى ذلك في كتبه التي كتب لها القبول تنمو وتتمدد كلما أعيد طبعاتها مثنى وثلاث ورباع ... فترى فصولا تضاف في كل إصدار لطبعة جديدة، حاملة لمزيد من النماء والعطاء دون أن تنقض عرى نهجه القويم في تأويل المعاني والدلالات. فتجده يعيد التأمل في النص ويضيف عليه ويستخرج فكرة أخرى ويتمدد في حقول النصوص الخصبة عبر مراحل الزمن مستوعبا للمتغيرات والتحولات الفكرية التي تشهدها الساحة الأدبية والنقدية، فلا تجد لتلك القراءات

التأويلية تراجعا أو ارتدادا أو نكوصا على الأعقاب، ولا تجد لها تموجا في خضم المسار المعرفي والفكري فيشوبها شيء من مظاهر التناقض، أو التغيير أو الاختلاف في تحقيق الغاية البلاغية.

ففي كتابه: (قراءة في الأدب القديم) الذي كتبه قبل أكثر من أربعة عقود، عام ١٣٩٨هـ، ليضع منهجا في تحليل النص الشعري القديم. مستخدما أدواته التأويلية المستخرجة من عمق التراث البلاغي فشرع فيها بتحليل قصائد من عيون الشعر العربي القديم، كعينية الحادرة التي مطلعها:

بكرت سمية غدوة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يرجع

فتراه يقارن بين المعاني ويظهر فروق الصنعة بين مرثية الخنساء في أخيها صخر التي مطلعها:

ياعين جودي بـالـدمـــو ع المستهلات الســـوافــح

وعينية أبي ذؤيب في رثاء أبنائه التي مطلعها:

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ثم يعرض لشعر النابغة وربيعة بن مقروم وغيرهم من شعراء العصر الجاهلي. يأتينا بعد حقبة ليست يسيرة تزيد على عقدين من الزمن وذلك عام ١٤١٩هـ من خلال طبعته الثانية للكتاب، ليستكمل بناء منهجه التحليلي المستنبط من عمق التراث البلاغي، وليبرهن على حيويته وقابلته للعطاء وتجديد النظر والمواصلة الدؤوبة للوصول إلى جوهر المعاني في النص واكتشاف عروق الشعر من دوحة البيان الرفيع. وذلك من خلال تحليله لقصيدتين من جواهر الشعر العربي؛ واحدة من شعر رأس الهرم في العصر الأموي وهو الفرزدق في قصيدته الفائية:

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

ثم يتبعها بتحليله للامية كعب بن زهير قصيدة "البردة":

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

في منهج تذوقي متفرد في الإبانة عن خبايا الشعر وطرائق التأتي لجوهره الثمين، في تحليل بلاغي يربو على التسعين صفحة فيها من المتعة ولطف النظر وغور المنزع ما يجعها مثالا وأنموذجا فريدا في مدارسة البيان الشعري القديم وكيفية تناوله وتقليب معانيه.

ولم يقف الدكتور أبو موسى عند هذا الحد حتى بعد رواج منهجه التحليلي لقراءة الشعر وطريقة مسلكه التأويلي في هذا الكتاب، تراه يردف في طبعته الثالثة تأملاته ومراجعاته الفاحصة لقصيدة كعب بن زهير "البردة". وكأنه يواصل تقريب هذه النهج التذوقي، وتعبيد هذا الطريق الوعر المسلك بمزيد من العطاء المستحق، وطول النظر واتهام النفس بالقصور، فيقف على دقيقة من دقائق الشعر أثناء حديث كعب عن الصاحبة في قوله:

لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل

فمـا تدوم على حال تكون به كما تلون في أثوابها الغـــول

وحين أزمع على صدور الطبعة الرابعة من الكتاب لم يقف مكتفيا بما أثاره من بناء المنهج الذي يراه في حاجة دؤوبة للفحص والتدقيق والمراجعة. تراه يفيد بمن سبقه في خوض تلك التجربة وبث ما استأنس به من قرار الرأي واستطابة الخاطر، فتراه يعرض لتجربة شيخه الأستاذ محمود شاكر في تحليله لقصيدة ابن أخت تأبط شرا:

إن بالشعب الذي دون سلع لـــقتيـــلا دمــه مــا يطـــل

فتراه في جهد دؤوب لبسط أسارير هذا النهج التذوقي القويم وتنمية أصوله في تجديد النظر لهذا الشعر العريق؛ لأنه يرى أن معاني الشعر العريق تمتد وتتسع وتتراحب بدوام النظر فيه وتدقيقه ومراجعته لها "تلامس أدق وأحدث وأغمض قضايانا"[١].

(١) محمد أبو موسى، "قراءة في الأدب القديم"، ص(أ).

وهذا يؤكد رسوخ المبدأ المعرفي لدي الدكتور محمد أبو موسى أولا، وثباته أيضا، من ناحية المنهج والآليات وجودتها من ناحية عمق المنزع وقابليتها للتطور والنماء والمواكبة للحقب الفكرية ومقاومتها للتقليعات النقدية النظرية في مجال الدرس البلاغي والنقدي. التي تقوم على مبدأ المواكبة والتقليد برغم ما تحدثه من فجوة وعدم تحقيق الرسوخ المعرفي واتسامها بالوقتية والمصادمة.

١٠- منوال البلاغة: حركة العقل في تتبع المعنى:

وأقصد بذلك ما تراه من السمت التحليلي في كتب الدكتور أبو موسى، مثال ذلك وصفه للعناصر الشعرية وجعلها مداخل للمعنى البلاغي، ورسم معالم التحليل والولوج إلى موضوعاته المقصودة في كتبه التحليلية. فليس من السهل القول بأن الدكتور أبو موسى يهتم كثيرا بسك العناوين الجانبية حين يتناول تحليل مسائل البلاغة في تحليل النص الشعري؛ فهو مشغول بحركة العقل في تأتي المعنى البلاغي من خلال الجزئيات التكونية للنص الشعري، وكأن تفصيل تلك العناوين يعيق تدافع حركة المعنى الشعري وانسيابيته في الانتقال من غرض إلى غرض، وحسن التخلص من فكرة إلى فكرة. فتجد العناوين مجملة في فهارس الكتاب، موسومة بعناصر ومكونات النص الشعري الوصفية، والذي يتأمل في كثير من تلك العناوين يجدها قائمة على حال الوصف لمعاني الشعر وليس الأدوات البلاغية مثلا، وإن كانت لا تخلو من ذلك، ولكن اللافت أنك تجد تلك العناوين تمتاز بالأدبية والوصفية الإخبارية، وكأنه كتاب في نقل الأخبار والأحداث والملح القصصية وليس في التحليل البلاغي، وربما كان ذلك مطلبا من مطالب أنس النفس والتشويق في تلقي المعرفة وطلبا للوصول إلى الفكرة؛ فمثلا في فهرس كتاب "قراءة في الأدب القديم" تجد العناوين التالية: (هيبة مقام كعب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم) تصور المعنى البلاغي في قول كعب رضي الله عنه:

لقد أقوم مقاما لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسـول بإذن الله تنويـل

حتى وضعت يميني لا أنازعه في كف ذي نقمات قيله القيل

يقول الدكتور أبو موسى معلقا: "هذه الأبيات الثلاثة جملة واحدة، وتعبر عن فكرة واحدة، وهي أن كعبا رضوان الله عليه يقول: لوكان الفيل يقوم في مقامه هذا، ويرى ما يراه، ويسمع ما يسمعه، لظل يرتعد، إلا أن يعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمان، وأن كعبا ظل يزلزله الخوف، حتى وضع يمينه في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ظفر بذلك قر وهدأ"(١). فجعل صورة الفيل مدخلا لوصف المعنى الشعري، وهو هيبة مقام كعب للنبي صلى الله عليه وسلم، فجعله رأسا ومدخلا للدراسة في الفهرس ومثل ذلك كثير، ومن ذلك "حكاية الشبب الذي أفزعته الكلاب"(٢)، فجعل وصف المشهد من حكاية الثور المستفز المروع من الكلاب وما يدور حوله من أحداث وأخطار محدقة مدخلا لرصد فروقات المعنى الشعري الذي يرمي إليه الشاعر من بيان الأهوال التي تحيط به.

وتجده في عنوان تابع لهذه الحكاية الشعرية يتبع وصف المعنى باستكمال المشهد فيبوبه بقوله: "تحليل حكاية البطل"(٣)، وهو هنا يتابع حركة المعنى الشعري في تحليله البلاغي لأبيات أبي ذؤيب في عينيته التي وصف فيها البطل المدرع بتمام العدة:

والدهر لا يبقى على حدثانه مستشعر حلق الحديد مقنع

حميت عليه الدرع حتى وجهه من حرها يوم الكريهة أسفع

١١- نقل آليات المنهج من حقل الدراسات القرآنية إلى النص الشعري:

(١) محمد أبو موسى، "قراءة في الأدب القديم"، ٦٩.

(٢) السابق: ٣١٢.

(٣) السابق: ٣١٩.

ليس من العسير اكتشاف أنماط التشابه والاختلاف بين فروع المعرفة الإنسانية التي تتداخل في بنية أصولها التكوينية منذ النشأة، فهذا أمر لا يخفى في طبيعة العلوم الإسلامية وتراثنا العربي، فهناك علاقة وطيدة بين علوم اللغة وآدابها وجملة العلوم الإسلامية التي نشأت في رحاب القرآن وعلومه، ومعالجة النقاشات والأسئلة التي يثيرها النص القرآني من تفسير وفقه وعلم أصول وعلم كلام، ولعل هذا ما حفز الشيخ الدكتور أبو موسى من استثمار هذه السمة واستغلال آليات بناء المعرفة وتحليل النص وطرائق استنباط المعنى، الناشئة في حقل العلوم القرآنية في إرفاد البلاغة العربية في مكاشفة النص الشعري وتحليله ودراسة معجم الشاعر اللغوي والإبداعي.

فنجده في بواكير دراسته البلاغية في تفسير الكشاف يحث على هذا النمط من الدراسة، وهناك ثلاثة مستويات منهجية نظر لها معرفيا، وحاول تطبيقها في تحليل النصوص واستنطاق أسرارها:

- **أولا، تفسير الشعر بالشعر:**

على غرار تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أصل من أصول مناط النظر للوصول إلى المعنى في التفسير القرآني. يقول: "تأمل قول المفسرين: إن القرآن يفسر بعضه بعضا، وانزع هذه الكلمة من حقل التفسير، واغرسها في دراسة الشعر"(١)، ثم يفصح عن آلية ذلك الاستثمار المعرفي وكيفيته: "لأننا نقول: لكل شاعر معجمه، ونعني بذلك أن دلالة الألفاظ في شعر امرئ القيس تختلف عنها في شعر زهير، بل إن اللفظة في ديوان الشاعر تختلف دلالتها من موقع إلى موقع، لأن السياق وجو المعنى مختلف لامحالة". ثم يقرب تلك الفكرة بشكل أوضح من خلال شرح آلية العمل بها: "وتفصيله.. أن أحدد مفردات الشاعر واضعها في نظام معجمي، تظهر فيها الكلمات التي تكررت، والكلمات التي لم تتكرر، ثم أنظر في هذه الكلمات التي تكررت وأحدد المعاني الجانبية التي انفرد بها موقع دون موقع..

(١) محمد أبو موسى، "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري"، ١١.

تأمل مثلا كملة "السنا" أو "البرق" في ديوان امرئ القيس وكيف كان كأنه يخلقها في كل موضع خلقا جديدا"[١]، وقد دعا إلى فتح هذا الباب على معجم التصوير البياني من مجازات وتشبيهات وكنايات في شعر الشاعر، وجميع ما داخل صنعة الشعر"[٢]. فهو يثبت قابلية تطبيق هذه الآلية ونجعتها من وجهين: من حيث الشرح والتقريب، ومن حيث التطبيق في دراساته التحليلية للشعر.

- **ثانيا، النسخ:**

أي الناسخ والمنسوخ، الذي هو في الأصل يقوم على مبدأ تشريعي في رفع الأحكام من المشرع، ويراعي فيه مراحل التطور الزمني والمتغيرات الحياتية والوجودية. وهي فكرة تتسم بالشجاعة والإقدام من حيث التفكير، لكن سرعان ما يزول عنك هاجس الغرابة عندما يفسر لك الطريقة العملية الآمنة والناجعة في هذا الباب، يقول: "وسوف أعرض بعض المفاهيم التي تبدو بعيدة عن حقل الشعر وأنها من خصوصيات القرآن مثل موضوع "النسخ" وقد تخيرته لشدة بعده"[٣]، وهنا يتدرج الشيخ في تلقي الفكرة ثم الانتقال إلى مستويات الفهم والتطبيق، يقول: "لو قلت: إنني في ضوء هذا أنظر لأتعرف هل نسخ الشاعر بعض معانيه يعني نفي ما أثبت، أو أثبت ما نفى، أو رضي ما كره أو كره ما رضى ..لكان هذا تطبيقا حرفيا للفكرة ...وإنما لابد من تحريك الفكرة، واستنطاقها بغير ما كانت تنطق به هناك، وحسبها هنا أن ترشدنا إلى دراسة الديوان دراسة تاريخية مرتبة ترتيبا زمنيا مضبوطا، ....ثم ندرس شعر الشاعر في ضوء هذا الترتيب الزمني المتقن ...وسائل الشاعر وأدواته اللغوية، وطريقة تصريفه لها في بناء

(١) السابق: ١١.

(٢) السابق: ١٢.

(٣) السابق: ٩.

شعره ..."[1]. إذن لابد من تحريك مناط التحري في الفكرة بما يلائم طبيعة الحقل المعرفي واستثمار طاقة هذه الآلية وتفعيلها في كافة المستويات بدءا من المعجم اللفظي ثم المعجم التصويري ثم الصياغة الأسلوبية ومنازع البناء، وهو استنبات معرفي قائم على جذر معرفي عميق وراسخ.

- **ثالثا، علم المناسبات:**

الذي يقوم على أصل من أصول الإعجاز القرآني في التناظر وتأليف المختلف. وهذا المفهوم المعرفي لقي استحسانا واسعا في تجربة الدكتور أبو موسى التحليلية بشكل عام، فلا أكون مجاوزا لو قلت: إن كل ما أنتجه الدكتور محمد أبو موسى من كتب في الدرس التحليلي قائم على هذا الأصل القويم، فنجد كل خطواته ماثلة في تحليلات النص الشعري في كتابيه "قراءة في الأدب القديم – والشعر الجاهلي، دراسة في منازع الشعراء"، ونجده في تحليلاته لآي الذكر الحكيم في "آل حم" وليس بعيدا عنها تتبعه لعلاقات المعاني وبيان سمت الكلام في شرحه وتحليله لأحاديث من صحيح البخاري ومسلم، وقد صرح بدعوته لفتح هذا الباب من الدرس التحليلي المنبثق من تحريكه لمفهوم علم المناسبة إذ يقول: "أذكر ما يقع في نفسي من حديث المناسبة لو أننا انتفعنا به في الدراسة الأدبية، وأول ما يتبادر إلى النفس منه هو البحث الذي يكشف علم المناسبة بين العناصر المكونة للقصيدة من صور ورموز وصيغ وخواطر وأحوال .."[2]. ثم يضع منهجه الذي سلكه خطوة خطوة، وكأنه يرسم معالم الطريق للسائرين في هذا الطريق الشاق ويحض عليه بتذليله وتقريبه وتسهيله إليهم، عبر أربعة محاور وجهات:

أولا: النظر إلى الغرض ومحاولة استكشافه بالنظر الفاحص للمفردات والتراكيب والصور.

(١) السابق: ٩-١٠.

(٢) السابق: ١٣.

ثانيا: النظر في المقدمات ومنازل المعاني ومراتبها التي انعقد عليها الغرض، فيتبين بذلك المعنى الأم الذي هو بمثابة الأصل والمعنى الثانوي الذي هو بمثابة المهاد.

ثالثا: النظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المقصد والغرض. والتدقيق في الفروق التي تساق في المقدمات من أجل ذلك.

رابعا: تحريك الكلام وتقليب وجوهه ليثير الهواجس والأحوال الممكنة واستكشاف المجاذبة بين اللغة والنفس"[١]. مع مراعاة فارق التطبيق بين الشعر وعلوم القرآن.

ولعل الميزة الكبرى في هذا النمط من التفكير البلاغي الجاذب، أنها لا تظل أفكارا تائهة في صدور الكتب عند الدكتور أبي موسى، وإنما تتحول تلك الأفكار النظرية إلى تجارب تحليلية قائمة، ودراسات تطبيقية على المعرفة في الميدان البلاغي.

والله الموفق إلى سواء السبيل. تم بحمد لله.

(١) محمد أبو موسى، "البلاغة القرآنية"، ١٣-١٤، (بتصرف).

الخاتـــمة

وبعد توفيق والله ومنته فقد خلص البحث إلى العديد من النتائج المهمة أجملها في نقاط كالتالي:

١- الفكر البلاغي خصب، ويحتاج إلى تجديد في طرق النظر والتناول والمعالجة للمعرفة، كتحليل لغة العلم، واستقصاء معالم البناء العقلي والتشكيل المعرفي من خلال رصد أسلوب العالم ولغته وأسلوبه.

٢- تحريك الفكر في المسائل العلمية في علم البلاغة، وطريقة تناول الباحث لها من صميم قضية التجديد في الدرس البلاغي، وهي فكرة محورية في مواكبة الحضارة الإنسانية لارتباطها الدائم بفهم التراث وتحديث مفاهيمه ومضامينه ونمائه.

٣- التجديد في علوم التراث والبلاغة لا يقتضي المناظرة والمقابلة بآليات المناهج الغربية الحادثة ومشابهتها في النماذج، وإنما هو تجديد ينسجم مع التكوين الثقافي والمعرفي ويحقق معنى الابتكار المستمد من الأصول ويحقق المواكبة الحضارية.

٤- حضارة العلوم الإسلامية متداخلة متشاكلة، قائمة على أصل واحد، وهو فقه معنى النص، وهذا ما جعلها جديرة بالاهتمام واستثمار آليات مناهجها المعرفية، والإفادة منها في الحقل البلاغي وتحليل النص الشعري.

٥- هناك دراسات تعنى برصد جهود العلماء وتحصيلها وتبويبها، وهناك دراسات تتغلغل في فكر العلماء وتحلل نتاجها المعرفي وتستنبط معالم البناء المعرفي المنطوي تحت لغة العالم.

٦- ينبغي أن تتوجه الدراسات البلاغية إلى فكر العالم في نظام بنائه المعرفي وتأصيله وكيف بنى معرفته.

٧- تجديد الفكر في المعرفة لا يقتضي الإتيان بشيء غير مسبوق كليا، لأن هذا

ليس غاية بذاتها في مقام علم البلاغة وعلوم الآلة وما شابهها، وقد يكون متعذرا في حقل ما، ولكن تجديد المواقف في الأحكام المسبقة حول نشأة العلوم وأصولها وإزاحة بعض الأوهام هي من صميم التجديد.

٨- الشعر المغنى بألحان منسجمة مع الغرض والمعنى يفتح آفاقا لمعان جديدة في البيت الشعري ويشرع الأبواب نحو التأويل النصي وتوسيع زوايا النظر، وهو موضوع آخر غير موسيقى الشعر ونغمه ...

٩- علم البلاغة ميدان خصب للتجديد والتأمل وإجالة النظر، فهناك علم له قواعد وأصول وقابل للنماء والزيادة والتطوير، وهناك فقه لهذا العلم ينظر في كليات هذا العلم ويستنبط خصوصيات وأحكاما وطرائق جديدة في الإنتاج المعرفي.

وهناك أمور لا يمكن ضبطها بقاعدة محددة، ولكن مردها إلى النفس الذواقة، والطبع الجيد، ويمكن وصفها بالخاطريات، أو روح البلاغة.

١٠- منهج الشيخ أبو موسى أصيل وقريب من الفهم بالرغم من عمقه، فهو لا يسعى إلى التحصيل المعرفي الأولي لعلم البلاغة، كالوقوف على الظاهر من الأساليب أو استخراج الفنون البلاغية المختلفة أو التعريف بفنون وأساليب هذا العلم، وإنما يسعى جاهدا إلى ما يفضي بك إلى معنى لطيف خفي سكن تحت طيات الأساليب وجمل الكلام وصوره الماثلة ونغمه النابض في جرس الحروف وترانيم الجمل وأوزانها، وإيقاظ حواسك البيانية لطلب الخبيء المغفول عنه.

١١- يتفرد الدكتور أبو موسى ببناء معرفي فريد أثناء مناقشته للمسائل العلمية؛ فدائما ما تجده يداخل بين الحالة الفكرية بعامة والواقع الحياتي التي تعيشه الأمه وهو يناقش أدق مسائل العلمية في أبواب البلاغة وكأنه يدعو إلى عدم انعزال العالم المجتهد عن واقعه المعاش.

١٢- المواءمة بين خطاب الروح والعاطفة وخطاب العقل والاجتهاد، وذلك ببث

روح الحماس وايقاد العزائم ونبذ التردد، مع الإعداد القويم وبذل الجهد وعدم التهاون واستسهال طريق العلم.

١٣- تتعدد مسالك خطاب التجديد في الدرس البلاغي عن الدكتور أبو موسى فنحت بعضها في تجديد الأفكار والمضامين في التناول وطرق التلقي والبحث، ونحت أخرى في تطوير الأدوات وآليات الربط المعرفي.

وتوصي الدراسة بالتالي:

١ – توجيه الدراسات والأبحاث التي تعنى بتطور خطاب الفكر اللغوي على وجه العموم والخطاب البلاغي النقدي على وجه الخصوص، ورصدها تاريخيا ومعرفيا عند علمائها المجتهدين.

٢-دعم الدراسات البلاغية والنقدية التي تسعى لبسط أفق معرفي مستقل وأصيل يمتد من عمق التراث العربي في تكوينه وتنظيره واستنباطه ليشكل نظرية منسجمة هوية المجتمع واللغة والثقافة.

٣-دعوة طلاب العلم في الدراسات العليا إلى تجديد النظر وتعميقه في مؤلفات وتراث الشيخ أبو موسى ومحاولة استخلاص فكره البلاغي في تحليل النص الشعري وتناوله لقضايا الإعجاز والتأويل القرآني ونظراته في مراجعات أصول الدرس البلاغي...

المصادر والمراجع:

إبراهيم عصام الدين الحنفي الاسفراييني، "الأطول – شرح تلخيص المفتاح". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية.

إبراهيم الهدهد، "أثر الشيخ محمد أبي موسى في البحث البلاغي"، من كتاب شيخ البلاغيين محمد أبو موسى، مجموعة الأبحاث المهداة لفضيلته بمناسبة تجاوزه الثمانين، مكتبة وهبة، ط١، ٢٠١٩م.

أبو العباس أحمد المغربي، "مواهب الفتاح"، تحقيق: خليل إبراهيم، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

أبو الفرج الأصفهاني، "الأغاني"، ط٥، بيروت: دار صادر، ١٤٤٠هـ.

أحمد السديس، "معالم التجديد البلاغي في مقدمات الدكتور محمد أبو موسى"، كتاب شيخ البلاغيين محمد أبو موسى مجموعة الأبحاث المهداة لفضيلته. ط١، مكتبة وهبة، ٢٠١٩م.

سعيد جمعة، "فن صناعة العلماء عند أبي موسى،" من كتاب شيخ البلاغيين محمد أبو موسى، مجموعة الأبحاث المهداة لفضيلته. ط١، مكتبة وهبة، ٢٠١٩م.

عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ط٣، القاهرة: مكتبية الخارجي، ١٤١٣هـ.

عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة"، تحقيق: محمود شاكر، ط١، جدة: دار المدني، ١٤١٢هـ.

محمد أبو موسى، "دلالات التراكيب"، ط٤، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٩هـ.

محمد أبو موسى، "قراءة في الأدب القديم"، ط٥، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٩هـ.

محمد أبو موسى، "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري"، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ.

محمد أبو موسى، "التصوير البياني"، ط٧، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٠هـ.

محمد أبو موسى، "دراسة في البلاغة والشعر"، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٨هـ.
محمد أبو موسى، "مدخل لكتابي عبد القاهر الجرجاني"، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣١هـ.
محمد أبو موسى، "مراجعات في أصول الدرس البلاغي"، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٦هـ.
محمد أبو موسى، "من مناهجنا الغائبة في إعداد أجيالنا"، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٢٣م.
محمد حماسة، "الإبداع الموازي – التحليل النصي للشعر"، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م.
محمود توفيق سعد، "الكلمة نور"، محاورات منهجية في كتاب شرح أحاديث من صحيح مسلم، ط١، مكتبة القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٨هـ.
محمود شاكر، "نمط صعب ونمط مخيف"، جدة: دار المدني، ١٤٠٧هـ.
ياسين عطية، "الاستشهاد بالشعر عند الشيخ محمد أبو موسى"، من مجموعة الأبحاث المهداة للشيخ أبو موسى.
محمود توفيق سعد، "علم البديع عند الشيخ محمد أبو موسى"، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٩م.
محمود توفيق سعد، "سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة"، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٢هـ.
محمود توفيق سعد، "دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين"، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٠هـ.

Bibliography

ʿAbd al-Qahir Al-Jurjāni. “Asrarr Al-Balāgha”. Investigated by: Mahmoud Shakir. (1st edition, Jeddah: Dār Al-Madani, 1412 AH).

ʿAbd al-Qahir Al-Jurjāni. “Dalaʾil Al-Iʿjāz”. (3rd edition, Cairo: Maktabat Al-Khanji, 1413 AH).

Abu Al-ʿAbbas Ahmad Al-Maghribi. “Mawāhib Al-Fattah - Shuruh Al-Talkhis”. Investigated by: Khalil Ibrahim. (1st edition, Beirut: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1424 AH).

Abu Al-Faraj Al-Asfahani. “Al-Aghāni”. (5th edition, Beirut: Dār Sadir, 1440 AH).

Ahmad Al-Sudais. “Maʿālim Al-Tajdid Al-Balāghī fi Muqaddimat Al-Duktur Muhammad Abu Musa”. From the book Sheikh Al-Balaghiyyīn Muhammad Abu Musa. “1st edition, Maktabat Wahba, 2019).

Ibrahim Al-Hadhdad. “Atharr Al-Sheikh Muhammad Abi Musa fi Al-Bahth Al-Balaghī”. from the book Sheikh Al-Balaghiyyīn Muhammad Abu Musa, a collection of research papers dedicated to him on the occasion of his 80th birthday. (1st edition, Maktabat Wahba, 2019).

Ibrahim bin Muhammad Al-ʿIṣam Al-Hanafi. “Al-Atwal, Investigated by: ʿAbd al-Hamid Hindawi. (Beirut: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah).

Mahmoud Shakir. “Namat Ṣaʿb wa Namat Mukhīf”. (Jeddah: Dār Al-Madani, 1407 AH).

Mahmoud Tawfiq Saʿd. “Al-Kalima Nour, methodological dialogues in the book Sharh Ahadith min Sahih Muslim. (1st edition, Cairo: Maktabat Wahba, 1438 AH).

Mahmoud Tawfiq Saʿd. “Dalālat Al-Alfaz ʿAla Al-Maʿāni ʿInda Al-Usuliyyin”. (1st edition, Maktabat Wahba, 1430 AH).

Mahmoud Tawfiq Saʿd. “ʿIlm Al-Badiʿ ʿInda Al-Sheikh Muhammad Abu Musa”. (1st edition, Cairo: Maktabat Wahba, 2019).

Mahmoud Tawfiq Saʿd. “Subul Istinbāt Al-Maʿāni min Al-Qurʾān wa-al-Sunnah”. (1st edition, Cairo: Maktabat Wahba, 1432 AH).

Muhammad Abu Musa. “Al-Balaghah Al-Qur’āniyyah fi Tafsir Al-Zamakhshari”. (2nd edition, Cairo: Maktabat Wahba, 1408 AH).

Muhammad Abu Musa. “Al-Tasweer Al-Bayāni”. (7th edition, Cairo: Maktabat Wahba, 1430 AH).

Muhammad Abu Musa. “Dalālat Al-Tarākīb”. (4th edition, Cairo: Maktabat Wahba, 1429 AH).

Muhammad Abu Musa. “Dirāsah fi Al-Balāghah wa-al-Shi’r”. (2nd edition, Cairo: Maktabat Wahba, 1438 AH).
Muhammad Abu Musa. “Madkhal li-Kitabi Abdulqahir Al-Jurjani”. (2nd edition, Cairo: Maktabat Wahba, 1431 A)H.
Muhammad Abu Musa. “Min Manahijina Al-Ghā’ibah fi I’ādad Ajyālina”. (1st edition, Cairo: Maktabat Wahba, 2023).
Muhammad Abu Musa. “Murājaʿat fi Usoul Al-Darrs Al-Balaghī”. (1st edition, Cairo: Maktabat Wahba, 1426 AH).
Muhammad Abu Musa. “Qirā’ah fi Al-Adab Al-Qadim”. (5th edition, Cairo: Maktabat Wahba, 1439 AH).
Muhammad Hamasa. “Al-Ibdāʿ Al-Muwāzi - Al-Tahlil Al-Nassi lil-Shi’r”. (Cairo: Dār Gharib, 2001).
Saʿeed Jum’ah. “Fann Ṣanaʿat Al-Ulama’ ’Inda Abi Musa, from the book Sheikh Al-Balaghiyyīn Muhammad Abu Musa”. (1st edition, Maktabat Wahba, 2019).
Yasin ʿAtiyah. “Al-Istishhād bil-Shi’r ʿInda Al-Sheikh Muhammad Abu Musa”. From the collection of research papers dedicated to Sheikh Abu Musa.

١٣٨
١٩٦

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

Issue : 15

Jan - Mar 2025

part 2